

6 me Année, No. 265

Lundi - 1 - 8 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

# الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — أول أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

## الفهـــرس



# يا لله لفلسطين !

يا لله لفلسطين مشرق الهدى والسلام، ومهبط الوحى والإلهام، ومجتلَى عين موسى، ومسرح قلب عيسى، ومسرى روح محمد، وقدس الأديان الثلاثة، وقبلة الإسلام الأولى، ومهد الأنبياء، ومقبرة الرسل، ومعبد الشرق والغرب، ومجرى العسل واللبن !!

يا لله لفلسطين ! ماذا فعلت بها الأحداث وجرّت عليها المطامع ؟ أبعد أن رفع الإسلام عنها آصار العبودية وأوزار اليهودية تعود بها المقادير السود إلى استعمار (طيطوس) القاهر، واستثمار (يهوذا) الجشع، فيعود إليها الفساد والفوضى والقهر والفقر والموت ؟!

أبعد أن استخلصها للعروبة (عمرو الداهية) من (أرطبون)، وسجل استقلالها العالمى (صلاح الدين) على ناصية (جودفروا) يستبيح ذمارها طرائد البشرية وفى صدورهم تِرات الأمم وحزازات القرون، فينزلونها نزول الوباء، ويحلونها حلول الفتنة، ويمتصونها امتصاص العلق ؟!

لقد قال المسيح لذلك اليهودي الذى منعه ظل جداره وهو مجهود، وقرى داره وهو جائع :

« ستظل تائهاً فى الأرض حتى أعود ... »

فهل عاد المسيح فى ثوب ( بلفور ) أم كذبت نبوءة « السيد » ؟ إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى إسرائيل، فهو لايثبت له قدم فى أرض ، ولا تطمئن له نفس فى وطن ؛ وكان من أثر ضلاله البعيد فى الآفاق أن اكتسب خلائق النَّوَر : فهو يلصُّ ليعيش ، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع ، حتى انقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع، فأصبح خَلْقاً آخر لا يألف ولا يؤلف . فمحاولة إسكانه مع غير أهله وفى غير أرضه تكذيب لكلمة الله وتزوير على قانون الطبيعة !

***

ليس بصددى اليوم أن أفند هذه السياسة المريضة فحسبها منطق الحوادث وأدلة الواقع ؛ إنما أريد بهذه الكلمة أن أصور فلسطين العربية بين بحريرشُّها باليهود والحرب ، وقفر يحصبُها بالمرض والجدب ، وأخواتها فى العروبة وفى الاسلام مطمئنات على ضفاف الأنهر النضاحة بالنعيم ، وعلى رياض السهول الفواحة بالنعمة، ينظرن إليها نظر الغرير الأبله وهى تمشى فى النار، وتخوض فى الدم ، وتطلب القوت فلا تجده، وتنشد الأمن فلا تناله . أريد أن أصورحال هؤلاء الكماة الأُباة الذين يغاديهم الفزع ، ويراوحهم الموت، وهم يدافعون عن حقهم فى الحياة، وينافحون عن مرقدهم من الأرض ، ويقولون للواغل الثقيل وللحامي الدخيل : إنها موتة لا مناص منها . ولأنْ تُنثر أشلاؤنا على أديم الوطن ، وتقبر أجسادنا فى ثرى الأجداد ، أحب إلينا من أن نعيش عيش اليهود شرداء فى كل طريق ، طرداء فى كل بلد !

لقد شن يهود الأرض على عرب فلسطين الحربَ فى صراحة ووقاحة ؛ وأعلنوا الجهاد الدينى والقومي بالتطوع والتبرع ، وسلحوا ذؤبانهم بالمنايا والمنى ، ودفعوهم فى وجه الحق والعدل والشرف ومن ورائهم مصارف اليهود تمدهم بالذهب ، ومصانع الانكليز تمدهم بالحديد ؛ فانطلقوا يخرّبون المدن ، ويحرّقون الحقول ، ويقطعون السبل ، ويحصرون المؤمنين الآمنين فى أجواف الدور، وفى شعاف الجبال، لا يجدون منصرَفاً إلى الزرع ، ولاسبيلا إلى القوت . وقد شغلهم الدفاع المقدس عن الحمى والنفس عمن وراءهم من الشيوخ والأطفال والنسوة ، فتركوهم يتضاغون من الجوع ، ويرتعدون من الخوف ، ويكابدون رُحاء الهموم على وطن يستبيحه الغريب، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل، ومستقبل يتكنفه الظلام ، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجَلَد لولا إيمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم

فلسطين العربية كلها اليوم بين منفى يلوذ بكنف الأعداء، وضعيف يتلهى بالدعاء والبكاء ، ومدافع يقتات بالعشب ويعتصم بالصحراء؛ وليس للمنفى شفيع إلا الأمل ، ولا للضعيف عائل إلا الصبر ، ولا للمدافع منجد إلا الايمان .

أما إخوان النسب وإخوان العقيدة فكأنهم لا يملكون لمأساة فلسطين الدامية إلا عزاء المجامل ، ورثاء الشاعر ، ودعاء العاجز ، وبكاء المرأة .

أيها المسلمون ! إذا ذهبت عصبية الجنس فهل تذهب نخوة الرجولة ؟ وإذا ضعفت حمية الدين فهل تضعف مروءة الانسان؟ إنا لانقول لكم تطوعوا، ولكنا نقول تبرعوا . وليس فى التبرع للجريح بالدواء ، وللجائع بالغذاء، نقض لمعاهدة ولا غدر بصداقة. وأقل ما يجب للقريب على القريب ، وللجار على الجار، يدٌ تواسى فى الشدة ، وقلب يخفق فى المصيبة ، ولسان يحتج فى المظلمة . فهل يزكو بعربيتكم والجود غريزة فى كيانها ، وبإسلاميتكم والمواساة ركن من أركانها ، أن تقفوا من فلسطين موقف الخلى المتفرج ، يسمع الأنين فلا يعوج ، ويبصر الدمع فلا يكترث ؟

إن فلسطين تقاتل للحياة لا المجد ، وتناضل عن القوت لا عن العزة ؛ وخليق بمن يدفع عن نفسه أن يُعان ، وبمن يذود عن رزقه أن يُعذر

إن فلسطين من البلاد العربية بمكان القلب ، ومن الأمم الإسلامية بموضع الإحساس ؛ وسيعلم الغافلون أن محنتها سبيل المسلمين إلى التعاطف، وصرختها نداء العرب إلى الوحدة ...

احمد حسن الزيات

# سخرية الأقدار

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كنت في يوم من الأيام جالساً إلى مكتبي أرقب أن يحمل إليّ ساعي البريد « حوالة » مالية . وكنت عاكفاً على الكتابة ولكني كنت أحصي الأبواب والوجوه التي أنفق فيها المبلغ المرقوب . وللذهن قدرة على الاشتغال بأكثر من موضوع واحد في لحظة واحدة . فبينما كنت أجري القلم بوصف ما تعاني فلسطين ، وأعرب عما جاشت به نفسي من العواطف من جراء هذه القنابل التي تلقى على باب المسجد الأقصى وفي الأسواق العامرة الغاصة ، فتقتل النساء والأطفال والرجال، وتطير أشلاء الانسان والحيوان وتخلطها بالخضر والفاكهة ، واللحم والسمن والعسل ، والأنقاض التي تهاوت ، والقُفف التي تبعثر ما فيها؛ وأقول إني أعرف حكومة فلسطين نسفت بيوتاً عدة للعرب ، وفرضت غرامات متفاوتة على قراهم الفقيرة ، ولا أعرفها هدمت بيت يهودي واحد ، أو غرّمت حياً من أحيائهم أو مستعمرة من مستعمراتهم — أقول بينما كان القلم يسحّ بهذا كنت أتخيل الثياب الجديدة التي سأشتريها ، والأثاث الحديث الذي أحب أن يحل محل القديم في بيتي ، والسيارة الجديدة التي سأستبدلها بسيارتي وإن كان عمرها عاماً ، وأسأل نفسي هل أستشير المرأة الصالحة التي لا تعترض لي طريقاً ، ولا تأخذ عليّ مُتوجَّهاً ، ولا تنكر من فعلي أو قولي شيئاً ، ولا أراها في أي حال إلا راضية ، ولا أعرف أن غيرها في هذه الدنيا يمكن أن يطيقني ويحتمل عبثي وسخافاتي وحماقاتي ؟

في هذا كله أيضاً كان تفكيري . وكنت أتصور الألوان والشيات والأشكال ، وأحاور نفسي وأجادلها، وأتلقى الاعتراضات وأردها ، والقلم مع ذلك لا يتوقف ولا يكف عن المضي ، وجاءني الخادم بإيصال رسالة بريدية مسجلة لأوقعها ، فاستبشرت وقلت : « الحمد لله جاءنا الخير المرتقب ... خذ يا شاطر فتح الله عليك ، ولك ... ( ومددت له يدي بالايصال ) وأسرع ... عجل ، ولك الحلاوة »

وخرج الخادم ، وهو يبتسم ، وراح هو أيضاً ولا شك يتخيل ما سينعم به في يومه السعيد « بعد أن أعطيته الحلاوة » الموعودة . ومضيت أنا في الكتابة ، مغتبطاً ، وإن كان القلم يقطر بالنقمة على رءوس المستعمرين ، ورأيتني أدندن ، وأنا أجري القلم ، ولم لا ؟ ألست مسروراً منشرح الصدر ، ولا نكران أني كنت ساخطاً ناقماً ، ومغيظاً محنقاً ، وثائراً فائراً ، ولكن هذا جانب ، وذاك جانب ، فأنا — في الجانب المشرق الوضاء من نفسي — أشعر بالاغتباط والمرح ، فأدندن ، ولكن هناك جانباً آخر حالك السواد لا يضيئه إلا ما يتهاوى فيه من صواعق الغضب، والجانبان لا يختلطان ، ولا يتداخلان ، ولا يعدو واحد منهما على صاحبه ؛ فالسواد هنا لا يعصف بالبشر المتألق ، والسرور هناك لا يمتد نوره إلى الظلمة الطاخية ...

وعاد الغلام الخفيف الحالم بالحلاوة ، ودفع إليّ الرسالة المسجلة فنظرت إليها وأنا أتناولها منه ، وعرفت ممن جاءتني قبل أن أفض غلافها . ولم يكن هذا لأني ذكي ألمعي أرى بأول الظن آخر الأمر من وراء الغيب ، بل لأن الاسم مطبوع على الظرف

وابتسمت وأنا آخذ الرسالة ، وأضعها على المكتب كما هي ، وأنقدت الغلام المسكين قرشين ، وأكببت على الورق أكتب .. وماذا عسى أن أصنع غير ذلك ؟ لم تجيء الحوالة المالية المرتقبة ، ولا ضير من هذا ، فما كانت بي حاجة ملحة إليها ، وهي خير إذا جاء فأنعم به وأكرم ، وإذا لم يجيء فلا بأس ، وستجيء على كل حال غداً إذا لم تجيء اليوم أو بعد شهر أو أكثر ، ولو اقتصر الأمر على حرمان ما نعمت نصف ساعة بتخيله لهان ، ولكن المضحك .... نعم المضحك ... أن يجيئني بالبريد المسجل في هذه اللحظة على الخصوص إنذار من محام بتنفيذ حكم صدر خطأ في غيابي ، وعندي المستندات التي تثبت أني أبرأت ذمتي ، ولكني لسوء حظي مهمل وشديد النسيان، فلست أذكر أين وضعت هذه الأوراق ، وقد كلفني هذا النسيان مالا يعلمه إلا الله ، وبدا لي — لسذاجتي — أن من السهل أن أقنع الخصم بمراجعة أوراقه وحسابه ليتبين أني أديت إليه حقه . وخطر لي أن هذا أسهل من عثوري أنا على مستنداتي التي لا أدري ماذا صنع بها الاهمال ، وكان الخصم يضحك مني ويقول للحاضرين « اسمعوا ... هذا جديد ... يريد مني أن أقدم أنا له ما يثبت براءة ذمته ! ! فلماذا لا يعد هو مستنداته ؟ » فأقول له محتجاً « يا أخي إن المسألة ليست مسألة خصومة وعناد، وإنما هي مسألة ذمة وحق ، وعندك دفاتر مسجلة تقيد فيها مالك وما عليك

وأوراق لا أدرى أين هى ، والبحث عنها يضيع وقتى ، ويطير عقلى ، ولا صبر لى على هذا على كل حال ؛ ولأهون على أن أؤدى إليك المال مرة أخرى من أن أنفق عمرى وأطير صوابى فى البحث عن هـذه الأوراق ، فلماذا لا تؤثر العدل والحق فتعاوننى ؟ إنك ناس، والموكل بهذا الحساب قد ترك عمله عندك، والمراجعة لا تجشمك عناء، فمر واحداً من عمالك أن يقوم بها »

وقد ضاعت سنتان من عمرى وعمره فى هذه المراجعة التى لم تخل من بعض الفائدة ، فقد اهتدينا إلى مبالغ ثبت أنى أديتها فتزعزعت ثقته بعامله الذى أكد له أني ما زلت مديناً ، ولـكن دفاتره كانت على حال من الفوضى كالتى عليها أوراقى في بيتى . ويظهر أنه سئم أو تبلد فلم يعد وخز الضمير يؤلمه أو يزعجه ، فقال أنفذ الحكم عليه بما لم نجد دليلاً على أدائه وأريح نفسى ، وعليه هو — لا علىّ أنا — أن يبرىء نفسه بإبراز ما عنده !

وهكذا تلقيت إنذاره

وأتممت المقال ثم فضضت الظرف وقرأت ما فى الـكتاب وضحكت . لقد كنت أنتظر فرجاً أوسع به على نفسى ، فإذا بى أطالب بأداء دين مرة ثانية !؟ فماذا أصنع ؟ قلت لنفسى — وكان اليوم الخميس — هذا موقف ممتع . وخير ما أصنع هو أن أركب سيارتى وأستصحب بعض الرفاق ، ونمضى جميعاً إلى الاسكندرية فنقضى على ساحل البحر أياماً وليالى ننسى فيها سخرية الأقدار وتهكم الأيام ...

وقد كان . قمنا إلى الأسكندرية قبل الغروب بساعة ، فلقينا فى رحلتنا ما هـو أعجب وأغرب ممـا سأقصه على القراء فى المقال التالى

ابرهيم عبد القادر المازنى



### صحيفة وصف وأحلام

# النـــادى

## للأستاذ حسن القاياتى

بكّرتُ إلى ضاحية نضرة مونّقة ألفت أن أزور نادياً فيها يتألفنى بشفوف حسنه الصامت ، ويقر بعينى أن أبادله أنفاسى الحرار ببرد نسيمه الذى يأذن له فيتلعب بغلائل زائراته من الغانيات بأرفق من تلعب العيون بالقلوب ، ويطيب لى أن أشهد سكونه المعجب لا يحس فيه غير نبض الجوانح بالحب ، أو مُسرى العيون بنظرة مدلهة

كم خلوت في هذا النادى بنجوى الأمانىّ الحسان كأنما أتناولها من رقعته النضرة الغضة ، وللأمانىّ فى الجو الطلق رفيف كرفيف نسمته يَنْدَى على الكبد

أمانىُّ من ليلى حسان كأنما ... سقتنابهـا ليلى على ظمأ بَرْدا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المُنَى ... وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغـداً

المتنزه أو النادى جنة معطار بالنسيم ، يتيامن قليلا عن الطريق الشارع حيث المدينة ، ويتياسر شيئاً عن المزرعة حيث الريف ، فهو بينهما قائم يشرف على رقعة نضرة ، كأنه الحد بين مصنوع الحسن ومطبوعه ، وتلك من أكبر ما يغرينى به ، فقد طبعت على خلال من حب الوحدة إلى غاية من التبرم

أما النادى فى صورته فبناء مؤلف من طبقتيه السفلى والعليا، بيد أن عليا الطبقتين خلاء من كل ناحية ، سقف على عمد، هل رأيت مظلة فى يد ؟

تشافهه ذكاء شارقة غاربة ، فتطالعه فى مشرقها بوجه وضاح متهلل يعيره فى المشتى أنفاساً حِرارا كأنفاس الصبابة ، وصفرة فى أصائل المصيف كصفرة المحب ، فاترة اللمح والحرارة ، فناهيك من مصيف ومشتى

الخضرة حول المتنزه سائدة ، ربما أربى عليها عسجد الشمس فهى بساط رائع ، كأنما التقت عليه الخضرة والصفرة فى سدى ولُحمة ، تؤلف نقوشه من زهرات ترفات لم أر أملح من الفراش

يتنقل عليهن تنقل النظر فى خدود الأوانس المتوردات

وقد استدارت حوله شجرات قديمات قامت هنا لك عطلاً من الثمر والنَّور ، كأنها نصفات(١) من الغيد ودعن عهد الشبيبة والدَّل ، فهن سليبات من الحلى وإن كن لا يعدمن مسحة من الحسن. على أن تلك الشجرات ربما أجنت عصفورا لبقا بالصفير يخرج رأسه فى الفينات من حفافي ورق نضر كما تطل مغنية من شباك فيضرب الفنن مرات بجانبي منقاره كما تمسح القلم مرات يمنة ويسرة ، أو كما يصلح المغنى عوده ، ثم يتكلم العصفور بصوت ساحر

وقد يشرف الجالس فيه على ضروب من الغراس حديثة العهد بماء ضحضاح إذا تمايلت فيه وصفها مترجحة كالراقصات أمام المرآة ، ذلك حسن منثور فيه ، أينما تلفت رأيته كالمحيا الفاتن تجيل طرفك فيه بين فنون من الروعة ، فتنقله من خد إلى جيد ، ومن طرف إلى خد

تلك حلية النادى فى يومه الساحر الوضاح ، أما هو في ليله فذلك الحسن كله والسحر ، يقبل عليه الليل بقطعانه الجهمات فتتشابه سماؤه وأرضه : السماء روض زهراته الكواكب ، والروض سماء كواكبه الزهرات ، وتأخذ لألاء الكواكب بالبصر حتى يحسبها الناظر شقوقاً فى ثوب الليل ، فيرده عن وهمه أن ثوب الليل قشيب ، وأنه بعدُ فى مقتبل . أما القمر فى ليالى القمر ، فإن له على تلك الساحة طغياناً ساحراً كما تدفق النهر فى الحديقة ؛ وطالما رف بلبل فى جوه فرجع ترجيعات مليحات آنقت الأسماع حتى ما يمارى أحد فى أن تغريد الطيور من ألحان الطبيعة ، وإن كان لا يحسن أن يقول : من أية نغمة هو ، وإن تعرّف حسنه بما أودعه النفس من حرارة الشغف

إن الناظر ليجيل طرفه فيرى على مدى بصره القطار الأبيض فى جيئته وذهوبه يتدفع بين تلك الأنحاء السندسية ، فيحسبه قناة ماء مسجور يتدفق بين الرياض ، ويخيل إليه أن زمجرته هدير القناة ، أو يحسبه وهو يمرق ليلاً فى غشاء من ضوئه نيزكاً سابحاً يجرر ذيلاً من النور

أجل ؛ إن الحياة المريرة النكداء أبخل من أن تخلى منظراً طريفاً كمنظر هذا النادى من منظر قاس مرير يشق على النفس والبصر . هذه مقبرة قديمة جثمت على قيد خطوات من النادى البديع إذا تلفت الجالس تعثر بها طرفه وشجته كما يشرق الشارب بالماء العذب ، هذه المأساة بذلك الجذل سنة الحياة

ألف غشيان هذا النادى فى الأصايل وليلات القمر أسراب من غانيات الأسر فيهن المصرية والغربية ، تغرب الشمس فيشرقن فيه يتفرجن من يوميات البيت الجاهدة، ويستسلمن إلى سمر حار ممتع يرسل نفوسهن على السجية ؛ وتارة هو ملتقى صفيين يخلوان إلى نجوى الشوق فى غفلة من الوشاة

إن الوجوه لتتقابل هناك متعارفة مؤتلفة لكثرة ما تلتقى لديه ، حتى لقد ترعى بين زائريه حدود الآداب فيعرف أحدهم لجليسه كرسيه ومجلسه ، وكأنما أجد لهم طول الإلف ضرباً من التفاهم يلفهم فيه أسرة واحدة يرمون المحدث فيهم بالنظر الشزر. أنا جالس فى ندينا الساعة حيث أكتب هذا ، والدولة لليل ، وقد نبض سلك الثريات بالنور فأضاءت ، وحوالى خفرات من الأوانس محجبات وسوافر يبسمن لذويهن فيذبن الأسى ، تحلل الظلمة تحت الثريات ، ويفاوحن الروض بعرف زكي كأنما يرود لهن القلوب ، والعرف من بريد الحب

شدَّ ما يسترسل الأوانس هناك فى تبذل ومجانة يتجاوزن بهما حد الرشاقة والدل إلى الخلاعة ، كأنهن حين شهدن تبرج الطبيعة تشهين أن يسايرن حسنها السافر فساقطن عن حر الوجوه براقع شفافة كأنها أغشية البلور ، وأخذن فى مرح بحت يمملن فيه الرشاقة والدل

تلك التى انتبذت ناحية طفلة ناهدٌ فى سنّ البدر وحسنه ، أحسبها تفلتت الساعة من المدرسة لما يلوح عليها من غرة بالتلفف

جلست الفتاة تنتظر خديناً لها فهى تتلفت متململة تلفُّت الطائر على الغدير ، حتى أقبل طلقاً وضاح الأسارير فسلم ثم عدل بها إلى مكان يجور عن مساقط النور ومواقع النظرات ، ألف العشاق أن ينزلوه ، يسرهم أن يجمعوا بين كل ظلمته وبين العيون فما ينيره غير جبين وضاح

جلسا معاً هناك ، وجه إلى وجه ، وساق على ساق ، فى أمن من سرى الأبصار والظنون :

أقول وجنح الدجى مُلْبِدُ ... والليل فى كل فج يدُ !!

---

(١) المرأة النصف المتوسطة فى السن

ونحن ضجيعان فى مجسد فلله ما ضمن الجسد !
أيا ليلة الوصل لا تنفدى كما ليلة الهجر لا تنفد
ويا غد إن كنت بى راحماً فلا تدن من ليلتى يا غد

يتناجيان حينا بحرّ الصبابة فيضرّج الحياء خدها الرقيق :

راض بحكمك فاعدلى أو جورى ولك المكانة فاهجرى أو زورى
ناجيت فاتننى فأشرق خدها بالحسن وقع النور فى البلور !

وربما سكتا عن حديث البشاشة فتكلمت العيون !

متحابان غاب عن يومهما العذل فدعهما حيث شاء لهما الحب ونجواه

وتلك عقيلة نصف على أنها مستتمة الملاحة لبقة بالغزل والتصبى ، ذات وليد مرضع تحمله وصيفة زنجية متلفعة . أقبلت العقيلة تمشى إلى رجل رزين الجلسة هو قرينها فيما يخيل إلى ناظره ، أفنى هزيعاً من الليل فى توقعها ، فالآن حيث أقبلت تخطر حتى جلست إليه فى غير تحية ولا كلفة . وإنى لأشهدها الساعة تتململ حائرة النفس ، وتتخبط برجلها تخبط الظبي فى حبالته لترى الجلوس ساقها الضخمة الملتفة كأنها لفائف البللور ، وتسارق جاراً لهم النظرات تنتحل لها العلات حذراً من يتقظ الريبة فى نفس القرين ، وتكثر أن تكشف جيب الثوب عن ناهد رخص مستدير تملل به الوليد ، وجل ما تتعمده أن ترى النظارة وبخاصة ذلك الجار أنها تحمل غض الرمان :

بنفسى من لو مرّ برد بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وهذه فتاة أخرى تتردد بين الصبيحة والدميمة ، على نصيب من رشاقة الدلّ واللباقة ، ولكنها طياشة لا يحتويها مكان ، تغرق فى هذر وضحكات خليعة تستثير بهما هوى الجالسين كما يطارد الصائد الظبي إلى الحبالة فإذا هو أخيذ :

فرقت إلى رجل فروق من ضحكة آخرها شهيق

تجربات عدة صادقة أفدت منها أن العفاف لون من ألوان المرأة لا جوهر ، وأن المرأة لا يسلم لها شرفها الرفيع كائنة من كانت إلا محرزة مكنونة ، أو يراق على جوانبه الدم ، وأنها إذا استشرفت الريبة استبيحت فلم تعتصم

ذلك رأيى فى المرأة جد سديد ، وإلا فما هذه النظرات الخائنة التى تخترق الصدور إلى الأفئدة ؟ والتفلت من كل عقد اجتماعى أدبى ؟

إن المرأة لتحسب أن من وحى الفطرة الزهادة فى الأليف الفرد ، وذهاب الحسن طلقاً مع الهوى كأنما تخشى عطلة الغزل ، وتنفس بالحسن على التملك فيما يقول الاعرابى الغر :

يقولون : تزوج وأشهد أنما هو البيع إلا أن من شاء يكذب

وكأنما تقول :

إن المرأة مخلوقة من جو هذا الكون ونسيمه ، فأخلق بها أن تروح فى حرية ذلك الجو الطلق

يعز على أن يكون رأيي فى المرأة هذا الحكم الجافى ؛ ولو آثرت العاطفة دون العدل لم يكن أحد آثر من المرأة بالترفق

إن اليد التى تصرف القلم بالعاطفة لا تحسن إلا حمل الدف أو العود

هذا كله وأكثر منه فى طبقة النادى العليا ، أما طبقته السفلى فان لها شأناً غير تلك نصفه على أنه أعف وأنزه . هذا قس رزين متر من القساوسة خلفاء المسيح صلوات الله عليه ، يحمله إلى النادى مركب سرى ، وله ضيعة نخمة ، كلّ مايلوح عليه من سمات الدين لحيته وطيلسانه ، ومسبحة يديرها آونة ، لا يكاد يساجل جليسه إلا حديث الضيعة وقصر يبتنيه ؛ ولكنه غر كريم بكل ما يشهده حوله من هذه الحياة الماجنة ، بصف الهداية كما تصفك المرأة ، وكأنه فى هذا النادى المستهتر بقية الهدى فى فؤاد المفتون !

حبيب إلى نفوسنا أن يتنزل رجال الدين من علياء مجدهم وتدينهم إلى حيث الطبقة المتحضرة اغتباطاً بدنوّ الدين المصلح الرشيد من المدنية الفاتنة المسترسلة ، وأنى يكون ذلك ؟

تريدين كيما تجمعينى ومالكاً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد ؟؟

وذلك رومى يجلس على مقربة منى لا ينفك فمه يختلج بهمس تتحرك له شفتاه كأنه ممرور أو موسوس ، وكأنما يعد شيئاً يعقد له أنامله . وماذا عسى يعد هذا المنكود إلا أيام عشيق هاجر كأنه يتبرم بالحب ؟ وهل لأحد على حبه خيار ؟ ذلك طماح شديد

دعى عد الذنوب إذا التقينا تعالى لا أعدّ ولا تعدّى

أما تلك الفتاة اللعوب الشرهة النظرات التى تتصدر فى حفل لها فيه عشيق ، فقد ألبس علينا أمرها ، أمستباحة هى أم حصان

مخبأة ؟ فإنا لفى هدأة من ليل ساج يكاد أحدنا يحبس فيه نبضه خشية أن يقطع سكونه ، ويترفق بالنفس خيفة أن يضرمه بحرقته ، إذ خلصت إلينا مع النسيم نغمة فاتنة ساحرة ، يحملها حمل النفحة مجهولة المهب ، على أنها حلوة الخطرة تمسك الحشاشة :

يا ساقييّ أخمر فى كؤوسكما أم فى كؤوسكما هم وتسهيدُ ؟
أصخرة أنا ؟ ما لى لا تحركنى هذى المدام ولا تلك الأغاريد ؟
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبُـهُ أنى بمـا أنا باكٍ منه محسود

واطربا لك أيها الشادى ! وحر قلبى عليك ! لقد أحسنت وأربيت . من أنت جعلت فداك ؟ ومن أية النواحى مَسْرَى الصوت ؟

تلفتت العيون بعد أن تلفتت القلوب تطلب مغدي الصوت فاذا فتاتنا اللعوب هى التى ترسله حارًا كزفرة المحب ، وإذا هى مطربة نابهة من المعروفات كأنما تناست مجلسها من الحفل وخيل إليها المرح أنها جالسة بين زملائها على « التخت » فانفرجت شفتاها بتلك الأغنية ثم بدا لها أن تفنى الحياء فأمسكت ولم تبرح إلا مكرمة مفداة

بينا نصغى بأسماعنا إلى غناء الآنسة الأخاذ دخل إلى النادى رجل عسكرى عظيم فى « رتبة اللواء » ألف طروقه يتحدث فيه إلى أستاذ مدرس من المعممين فيزأران بالحديث حتى يستحيل النادى بصوتيهما كلية للفنون أو معترك حرب ، يزخر مرة بالبحث والتحليل ، ويفهق أخرى بالصليل

يلقى المنيـة فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلمودا بجلمود !

ولمهدى لهذا الصوت الصاخب ينشد شعراً مرة ، فليت شعرى من راض ذلك الطبع المعىّ على رقة الأدب ، وتناشد الأشعار؟ أجل ، إن الراضة يأخذون الليث المصور بالرياضة والتأنيس حتى يصبح أنيساً طيعاً . هذا كلب صاحب النادى قد شهدت من يلقى له قطعات السكر فيأ كلها التهاماً ، فلما سمعت الشعر يتضمنه العسكرى العظيم ، قلت : ما أشبه الشعر فى فم الرجل الجاف الخشن بالسكر فى فم الـكلب الشره ! وإن من الشعر لحكمة :

وهـذا الرومي صاحب النادى يأبي كل الأباء أن يعد النرد للاعبين فى الطبقة العليا من ناديه إغلاء بهدوء الزائرين ، أفلا تكون للضابط المظيم شمائل ذلك الرومى الجافى فيعفينا بل يعفى زائراته الرقيقات من الصخب ، كما أعفانا صاحبه من « النرد » بل ليت لنا من يقول له : رفقاً أيها الأسد بالظبيات أو القوارير

ليس فيما يقطع السكوت فى الخلوات أشهى إلى المستريض المبعد مسه السغب من نداء الباعة على الطعام الشهى اللذّ ، والطعام كله على تلك الحالة لذ شهى ، بل هو أهنأ الطعام وأمرؤه ، وإن فيمن يضمه نادينا الحفيل رجالا لهم شارة تشهد بنضارة ونعمة . ذلك السيد السرى المتصدر واحد منهم ، لا تبرح تحت طاعته سيارة وسائق فاره ، وهو إذا عاد إلى مثواه عائد لا محالة إلى قصر مشيد وخدم ، وبديه إن له طاهياً محسناً لا يصنع طعامه المعجب فحسب ، بل يصنع معه الشهية لآكله . وها هو بحيث أراه مكب على قطعتى جبن وخبز ينحى عليهما بأنيابه إنحاء الجائع المقرور !

لقد سوت المسغبة ونزوح ساعة عن المدينة بين السيد الشريف والبائس الذى يتبلغ بالخبز القفار . و تلك حسنة للخلوات تقرب بين الطبقات بالتسوية فتتركهم سواسية كما هم فى رأي الفطرة ، سيان الشريف والدون . معدلة من الطبيعة ونصفة ؛ على حين تقضى سنة المجتمع ونظمه بتفرقة جارمة

مخلسنا فى النادى تحت كرمة عنب فينانة تظل ناحية منه ، وتتدلى علينا بأوعية المدام أو المناقيد كأنها ثريات النور

تحملي أوعية المدام كأنمـا يحملنها بأكارع النغران (٢)

أذكرتنى الكرمة بالراح ، وإن كنت لا أشربها والحمد لله الذى يحمد على المحبوب والمكروه ، كما تذكر النتيجة بالمقدمات ، فذكرت كذلك أن النادى معطش منها ، تمطل فيه الأكواب ، وأن صاحبه الخبيث يتحرق لهفة لأنه استجدى الاذن ممن يملكه بأن يديرها فيه فلم ينعم له بحمد الله . وخيل إلى أننى تمزقت من وقوع الطير على المناقيـد ونقره حبات المنب ، لأية علة كانت عربدة العصافير والتغريد . ولو أتيح للخمار الداهية أن تحتث عنده كؤوس الشراب لروعنا بعربدة العيون الساحرة النشوى ، فصرنا إلى ناد طروب تعربد سماؤه وأرضه وتُغرد طيوره وغيده !

لا تسقنيه فانى أيهـا الساقى أخاف يوم التفاف الساق بالساق
إن الشراب تهيج الشر نشوتُه فميز الشر منه واسقنى الباقى

(٢) النغران . جمع نغر ، طائر صغير من فصيلة البلابل

قضيت من الرياضة كل حاجة ، وتزودت لرئتىّ من النسيم العليل ، فتشهيت العودة وأخذت سمتى إلى بيتنا الصغير ، فإنى لجالس فيه صبيحة تلك الليلة جلسة المتعب المكدود أتمثل ما مر بى بالأمس، إذ دخل علينا آنستان فاتنتان كأنهما صورة الحسن ، فلما سمعتهما تسألان عنى قلت : لبيكما ، أنا ذاك . فأقبلتا فجلستا في تخفر واستحياء متصنعين ؛ بيد أنهما تخبأن السحر فى العيون ثم تحدثتا إلى بأنهما أقبلتا من مدرسة فلان فى طلب المسعدة ليتامى قسمها المجانى ويتيماته — فيما زعمتا — ودفعتا إلى بصحيفة أعدتاها للمتبرعين يثبتون فيها الأعطيات ، ثم التوقيعات ، فتسمحت نفسى بقليل نذر يتذمم الجواد المفضل منه ، ثم وقعت فى الصحيفة « صانع خيرا » ومن يبخل عند الأوانس؟ فانصرفتا فى امتنان وحمد . ويمين لاهام ولاحانث ، ما أعرف أصانع خير أنا أم صانع شر ؟ ولكنى أعرف أن هذه أساليب هذا العصر ، أو هذا البلد ، وطرازه الظريف فى الاستجداء الكاذب المخزى لمعونة العلم والبر ، وأين العلم والبر ؟

في النـاس من يقتنى نفعاً بمُندِيةٍ

كما جرت قبلة « فى سوق إحسان »

واحر قلباه ! حتى البيوت فيها أوانس المجتمعات العابثات؟

لمحة دالة من صفة نادينا الذى يتألفنا بجماله ، وهو على ما فيه من هنات إنما يصف المجتمع ونفسياته ، كما تصفه كل منتدياتنا ، وخلف ما ذكر ما لم يذكر استحياء من الأدب والفضيلة

إن الأندية مرآة صقيلة للشعب تصفه على ما هو عليه من دمامة فى صورته الخلقية أو وسامة

« السكرية — دار القاياتى » حسن القاياتى



# حـــواء

... عَلَم على ديوان شعر ظريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها فى عالم الفن

## وحي القمر

قرأتكِ فى الأفق حتى جرت ... سبائكه فى جيوب السحرْ
وحتى تدفّقَ من جانبيه ... ضبابٌ على الأرض غطى الشجر
وأوقدَ فى ذرواتِ الغصون ... قناديلَ يزلق عنها البصر
تنوّعَ فيهن لونُ الحيـــاة ... أفانينَ تحمل شتى الصور
تلمستُ روحكِ فى أفقها ... وروحُكِ فى الأفق وحى القمر
فكانت من الزهر هذا العبير ... ومن ذِروة الغصن ذاك الثمر

## فى فم الشاعر

لروحكِ فى مُلتقى خافقيّ ... خيالٌ يُرفّهُ عن ناظرى
أراه بعينىّ فى يقظــــتي ... وإن نمتُ أشرق فى خاطرى
تمرّ به نسمات العشىّ ... على صفحة القمر الحـــائر
وتندى به نسمات الصباح ... فتلفظه فى فم الشــاعر
وكم صفّقت جنبات الغدير ... على رقصه فى فم الطائر
خيالكِ مرآة قلبى ، يُطلّ ... على الكون من فمها الساحر
تدور بهـــا فى سماء الخلو ... دِ أرجيةُ الفلكِ الدائر

الحومانى

في مصر الإسلامية

# السيادة المصرية
## في صدر الاسلام

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الخراج في الدولة الاسلامية من أهم موارد بيت المال ، فلما فتح العرب مصر وجبا عمرو بن العاص خراجها لم يرض عمر بمقدار الخراج ، وظن في عمرو الظنون ، فأرسل إليه ابن مسلمة ليقاسمه ماله ، ثم عزله سنة ٢٣ هـ قبيل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد وأسندها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح . فلما ولي عثمان الخلافة عزل عمراً وولى ابن أبي سرح مصر كلها ، فكان ذلك سبب الجفاء والمداوة بين عمرو وعثمان حتى قيل إن عمراً أخذ يؤلب الناس على عثمان وعلى سياسته وإن له ضلعاً في مقتله

على أن ابن أبي سرح لم يكد يستقر في ولاية مصر حتى انتقض الرومان وكتب أهل الاسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل امبراطور الروم يصفون له ما هم عليه من الذلة والهوان ويهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة من بها من حامية المسلمين ، فأنفذ قسطنطين قائده الأرمني مانويل Manuel إلى الاسكندرية على رأس جيش كثيف فاستولى عليها وأخذ جنده يعيثون في الأرض فساداً حتى وصلوا إلى مدينة نقيوس

ولم يكن قبط مصر يرحبون برجوع بلادهم إلى حوزة الرومان خوف أن يسوموهم الخسف والهوان لما قاموا به من مظاهرة العرب ورضائهم بحكمهم من جهة ، ولما كان بينهم وبين الرومان من الخلاف المذهبي الذي كان مصدر شقائهم ومصائبهم في عهد الرومان من جهة أخرى . فكأن عودة مصر إلى حوزة الروم معناه زوال تلك الراحة والطمأنينة اللتين تمتع بهما المصريون في ظل الحكم الاسلامي

لهذا كتب قبط مصر إلى عثمان يلحون في إسناد حرب الرومان إلى عمرو بن العاص لما أحرزه في حروبه معهم من الخبرة الناشئة عن طول المراس ، ولأنهم أنسوا فيه الدراية والكفاية على رد غارات الأعداء بخلاف ما كانوا يعرفون عن واليهم الجديد ، فولى عثمان عمرا الاسكندرية على أن يتولى حرب الرومان وإخراجهم من مصر

وفي مدينة « نقيوس » دار القتال بين جند عمرو وجند مانويل في البر وفي النهر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى وقع فرس عمرو من تحته . ثم طلب المسلمون المبارزة بين فارس منهم وفارس من الرومان فكانت الغلبة لفارس المسلمين فثارت حميتهم وشدوا على العدو وانتصروا عليه وقتلوا قائده ، ثم تعقبوه إلى الاسكندرية وأعملوا السيف في رقابهم . وهنا أمر عمرو بإيقاف رحى الحرب ، وأن يبنى في الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد أطلق عليه فيما بعد « مسجد الرحمة » وهدم عمرو سور الاسكندرية ، وبهذا ثبتت أقدام العرب[1] في مصر سنة ٢٥ هـ

أقام والي مصر الجديد في الفسطاط يراقب الأمور عن كثب وينتظر ما تلده تلك الحرب الناشبة بين العرب والروم في مصر . ولا شك أن انتصار عمرو ثبت قدم ابن أبي سرح في ولايته[2] . فحذا حذو سلفه في الاصلاح الداخلي وفي الفتوح الخارجية، أما الاصلاح الداخلي فلم يترك له عمرو شيئاً جديداً اللهم إلا ما كان في زيادة الخراج في ولايته حتى بلغ أربعة عشر مليوناً (إن صح أن يسمى هذا إصلاحاً)

أما من ناحية الفتوح الخارجية فإن ابن العاص كان قد أمن حدود مصر من جهة الغرب بفتح برقة عام ٢١هـ صلحاً ، وبفتح طرابلس سنة ٢٤هـ عنوة . ثم بعث نافع بن القيس الفهري (وكان أخا العاص بن وائل لأمه) إلى بلاد النوبة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانصرفوا ، فلما ولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية سنة ٢٧هـ وقتل ملكها وغنم المسلمون الغنائم الوفيرة

(١) ممن اتفق على هذه السنة اليعقوبي ( ج ١ ص ١٨٩ ) والبلاذري ص ٢٢٨ وفي قول آخر له سنة ٢٣ هـ . والكندي ص ١١ من كتاب الولاة ، وابن الأثير ( الكامل ) ج ٣ ص ٣٩ ، والمقريزي الخطط ج ١ ص ١٦٨ والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٨

(٢) أراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج فأبى عمرو وقال : أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها

حتى قيل إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار (١)

ثم وجه ابن أبي سرح همه إلى الجنوب فغزا بلاد النوبة من جديد، وبلغ دنقلة في سنة ٣١ هـ وقاتل أهلها قتالا شديدا (٢)، ومع ذلك فإن النصر لم يتم لابن أبي سرح، فلجأ إلى مهادنة النوبيين وعقد معهم صلحاً رواه من المؤرخين البلاذري والكندي والمقريزي وترجمه لين بول في «تاريخ مصر في العصور الوسطى» (ص ٢٠ — ٢١) وهو أشبه بمعاهدة اقتصادية بين مصر والنوبة: هذه تمدهم بشيء من الحبوب والعدس، وتلك ترسل إليهم الرقيق (٣)

كذلك تولى ابن أبي سرح قيادة معركة بحرية نشبت سنة ٣١ هـ (٤) بين العرب والبيزنطيين تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل، وكان النصر للعرب على الروم في هذه الموقعة التي عرفت باسم موقعة «السواري» أو «ذات السواري» لكثرة سواري المراكب التي اشتركت في القتال (٥)

أما مثير هذه الحرب فهو قسطنطين بن هرقل فلقد دبّ في نفسه دبيب السخط فعمل على الأخذ بالثأر لما أصاب المسلمون من أملاكه في غرب مصر، فخرج في عدد من المراكب يتراوح بين خمسمائة وألف على ما ذهب إليه المؤرخون على اختلافهم، وخرج ابن أبي سرح بمائة مركب، واشتبك القتال بالعرب من الساحل الافريقي في الفرضة المسماة بفرضة زيواره (٦)

حسن ابراهيم حسن

(١) البلاذري س ٢٣٤، والكندي ص ١٢ (ذكر البلاذري ان النزو تم في سنة ٢٧ أ: ٢٨ أ، ٢٩ هـ)

(٢) يدلك على شدة القتال بين العرب وأهل النوبة (أو الأساود) هذا البيت الذي رواه الكندي:

لم ترعيني مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع مثقله

(٣) البلاذري ص ٢٤٥ — ٢٤٦ والكندي ص ١٢ — ١٣

(٤) يؤكد الطبري أن هذه المعركة حدثت سنة ٣١ هـ لا ٣٤ هـ كما ذكر بعض المؤرخين.

(٥) روى الطبري أن عدد المراكب بلغ خمسمائة (وقيل ستمائة) وقال الكندي ص ١٣ أن عدد مراكب الروم بلغ ألفاً (وقيل سبعمائة) وبلغ عدد مراكب المسلمين مائتين

(٦) الطبري (طبعة القاهرة) ج ٥ ص ٦٩، ٧٠

# حظى بالشيء ...

## لأستاذ جليل

الرافعي، المجمع اللغوى، أزهرى المنصورة، اليازجى ... ... ...

— ٢ —

طالع الأستاذ الرافعي (رحمه الله) كلمة المجمع اللغوى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) فنشر مقالة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى، رد على رد) — البلاغ ١٨ شوال ١٣٥٢ — أطنب (١) فيها في أمر البرقية ثم قال: «وانتهى الأستاذ (أى مدره (٢) المجمع الشيخ حسين والى) إلى مادة اللغة فلم يأتنا بكلام من الفصيح جاء فيه مثل استعمال (يحظى بتشريف) بل سكت عن هذا مع أنه هو كل ما نريد. ثم قال: إنه يجوز استعمال الباء مع حظى واستدل بقول الزمخشرى في الأساس (حظى بالمال وأحظاه الله بالبنين) وهاهنا أردنا أن يبحث أعضاء المجمع في وجه استعمال حظى بالمال وحظى بالبنين، فانهم إن اهتدوا إليه فسيرونه رداً عليهم. ولا نزال نطلب منهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعى لهذا الفعل (حظى) لينكشف لهم الخطأ في استعماله. ثم قال فضيلته: (إنهم استعملوا التشريف بمعناها الأصلى لا بمعنى الحضور، ومعموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه) قال هذا وسكت عن الباقى، والباقي هو قولهم (تشريف جلالته إياه لافتتاحه) فاذا لم تكن هذه اللام في (افتتاحه) نصاً في تقييد معنى التشريف بالحضور فما موضعها هنا؟ إن المجمع على كل حال قد حظى بتشريف جلالته إياه) إذا أريد من التشريف معناه الأصلى، فان هذا المجمع إنما هو عناية سامية من جلالة مولانا الملك وأثر من آثار فضله وبركة من بركات يمنه وكل هذا تشريف، فعلى تأويل حضرة العضو يكون كلامهم لغواً لا محل له، وإلا فرده هو لغو لا محل له»

***

(١) الاطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام بالغ فيه (اللسان)

(٢) قال أبو زيد: المدرهُ لسان القوم والمتكلم عنهم (اللسان)

## الأستاذ الرافعي وأزهري المنصورة

في ١٩ من شوال سنة ١٣٥٢ ظهرت في (البلاغ) كلمة عنوانها «حظي بالشي والأديب الصغير» للأستاذ أزهري المنصورة. ومما قاله: «قال (ديوان الحماسة):

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال (الأساس): «وحظي بالمال، وتقول: ما حليَ بطائل [1]، ولا حظي بنائل»

وديوان الحماسة هو الذي اختاره أبو تمام، قالوا: «لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام [2]» وأبو تمام حجة، فما قولك فيما رواه من شعر العرب. قال (الكشاف): «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو [3] من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»

والأساس هو (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله «ومن خصائصه — كما قال أبو القاسم — تخيّرُ ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين»

فالأديب الصغير لم يحظ بالصواب حين خطّأ (حظي بالشيء) في قول حضرة أعضاء المجمع اللغوي لا (حضرات، أعضاء المجمع) كما قالت حضرته، لأن الأعضاء كلهم أجمعين حضرة واحدة، ومن المستحيل أن يكونوا حضرتين أو ثلاث حضرات أو أكثر من ذلك

أجلْ، إن أعضاء المجمع اللغوي محظوظون [4] كل المحظوظين لكنهم ما أخطأوا في فعل (الحظوة) كما قال (الأديب الصغير) اليوم، وأديب كبير من قبل

* * *

رد الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ ٢١ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهري المنصورة بمقالة عنوانها (حظي بالشيء) ومن هذا الردّ:

جاءنا حضرة أزهري المنصورة بالحجة القاطمة والشهادة القائمة على أن (حظي بالشي) هي من كلام العرب، فكان كل ما قاله في هذا هو هـذا: (قال ديوان الحماسة (وأورد البيت) وقال الأساس (وذكر قوله)

نحن نشير في كلامنا في انتقاد (المشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها، ولذا طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي لفعل (حظي) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغة، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذي جاء فيه مثل قولهم (حظي بتشريف) وما نجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة، ولو سأل (أزهري) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ لبيّن له أنا كتبنا هـذا البيت في كلمتنا الثانية في الرد على فضيلة الأستاذ الشيخ والي ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها، ونبين فسادها

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه. لكن الشاعر لا يريد الحظوة بل أراد معنى آخر فضاق باللفظ، ولم يوفق إلي غرضه فاضطر أن يضمن (حظي) معنى (ظفر) ونقل الفعل عن أصله، وحوله عن دلالته فلم تبق الكلمة حظي بل ظفر وسقطت حجة أزهري

وقد نص النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه من معنى التضمين، ويدل عليه أن بشار بن برد لما أراد هذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل حظي بل قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أما قول صاحب أساس البلاغة فلا دليل فيه لأعضاء المجمع بل هو من دليلنا نحن، لأننا ننكر الاستعمال ونستهجنه مقيداً باعتبارين: الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك

---

(١) قلت: في (الفائق): حلوته كذا إذا حبوته به، خلي به إذا ظفر به: وفي (الصحاح): لم يحل منه بطائل: لم يستفد منه كبير فائدة، ولا يتكلم به إلا مع الجحد

(٢) قلت: القول للزمخشري وبعده: «ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل» وفي شرح الحماسة للتبريزي: «من أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة»

(٣) قلت: في (الكليات): الفاء في خبر المبتدأ المقرون بإن الوصلية شائع في عبارات المصنفين، ووجهه على أن يجعل الشرط عطفاً على محذوف والفاء جوابه والشرطية خبر المبتدأ، وإن جعل الواو للحال والشرط غير محتاج إلى الجزاء فاشبه الخبر بالجزاء حيث قرن بالمبتدأ الشرط

(٤) في اللسان: «لم أسمع لمحظوظ بفعل أي أنهم لم يقولوا حظ» أي بالبناء لما لم يسم فاعله، والقائل هو الأزهري وإن لم يذكره اللسان

وبعد هذا تقول (لأزهرى) : إن سجعة الزمخشرى التى استدل بها هي كأكثر سجع الرجل فى كتابه من الكلام الغث البارد الذي لا وزن له ، وقد سمّي الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة »

قلت : قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : وهو (أى بيت محمد بن بشير) من شواهد النحاة المشهورة

والشاهد فيه حذفه حرف الجر من (مدمن) ومثل ذلك جائز. ويحذف هذا الحرف فى المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف وإن انفصل عنه بلا كقوله — وهو من شواهدهم —

ما لمحب جَلَدٌ أن يهجرا ولا حبيب رأفة فيجبرا

ولبيت بشار المذكور فى (الرد) حكاية لطيفة رواها أبو الفرج وابن الخطيب :

غضب بشار على سَلْم الخاسر[1]، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من أخوانه ، فجاءوه فى أمره ، فقالوا : جئناك فى حاجة ، فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً . قالوا : ما جئناك إلا فى سلم ، ولا بد من أن ترضي عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيث؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبّل رأسه، ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ ، خريجك وأديبك . فقال : يا سلم من الذى يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال : أنت يا أبا معاذ ، جعلني الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول:

من راقب الناس مات غمّاً وفاز باللذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك . قال : أفتأخذ معانيّ التى قد عنيت بها وتعبت فى استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظى حتى يروى ما تقول ويذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه »

ولقد تجرأت فذكرت قول الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « إن سجعة الزمخشرى التى ... » أجل أن أبين أن الكبير قد يحل على شيء غضبه فى بعض الأحايين فيقول . والشاهد فى (الأساس) هو (وحظى بالمال) والسجعة إنما هى مثال

وإنى لموقن حق موقن أن ليس فى هذا العصر من يسبق الأستاذ الرافعى فى إجلال إمام الأئمة وعرفان مقداره

وإذا استنزل بعض سجعات فى (الأساس) مستنزل ففى (الكشاف) ما « تنقطع عليه أعناق العتاق السبّق ، وتنى عنه خطا الجياد القرح » وتنث عنده أقول بلينة ، قائلوها بلغاء من الطراز الأول

***

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة فى (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) الأستاذ الرافعى (رحمه الله) وعنوان الجواب (أئمة اللغة ، حظى بالشيء ، الشيخ ابراهيم اليازجى) ومما قال :

« ١ — أوردنا بيت (الحماسة) وفيه أن (يحظى بحاجته) ، وقد شرح هذا الديوان أئمة كثيرون ، وجمع الإمام التبريزى شروحهم ، ولم يعترض على قائل ذلك البيت معترض

٢ — وجئنا بكلام (الأساس) والزمخشرى هو صاحب الكشاف عن حقائق التنزيل

٣ — وجاء فى (نهج البلاغة) : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون)

وقد فسر العلامة (ابن أبي الحديد) المهد الذى فيه هذه اللفظة ولم ينقدها ، وشارح النهج من أئمة العلم والأدب

وإذا قيل : هو النهج ، وقد قالوا فيه ما قالوه — قلنا : حال (النهج) تحال الأقوال لوفود العرب على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن وأمثالها ، وقد اطمأنت الأئمة إلى عربيتها والنهج معظمه ظهر حين افتعال تلك الأقوال . والقرن الثانى والثالث أوله ومنتصفه أقرب إلى العربية الأولى من آخره ومن جميع الرابع . وقد أملى ابن دريد فى زمانه (ووفاته سنة ٣٢١) تلك الروايات والأساطير ، وأصبحت لغتها فى كتاب (الأمالى) حجة المحتج[1]

٤ — وجاء فى المقامات لابن الحريرى (وهو من أئمة اللغة) فى المقامة الأربعين : (نهضا وقد حظيا بدينارين) وللعلامة ابن الخشاب البغدادى رسالة فى تخطئة الحريرى ، وقد غلطه فى ألفاظ كثيرة فى مقاماته ولم يخطئه فى (حظيا بدينارين)

قد يكون هذا الفعل (حظي بكذا) نشأ فى الزمن الاسلامي

(١) سمى الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى به طنبوراً (الوفيات)

(١) قلت: وكلها — لا بعضها — مصوغة مصنوعة

أو الأموى نشوء ألوف مثله لا قبل ذلك ، لكن هذا لا يضير ، وقد نجمت ألفاظ فى القرن الخامس فى ( الجزيرة ) ولما جاء الامام الزمخشرى [١] وسمعها استجادها وأودعها كتبه

كيف كانت الحال لو لم يجىء الاسلامي والمولد والمعرب ؟ وهل كانت ألفاظ ( الجزيرة ) فى الجاهلية تجزئ فى تلك المدنية الزاخرة ؟ »

قلت : أشار الأستاذ ( أزهرى المنصورة ) إلى ناشئات القرن الخامس أو ( نواشئه ) وإيداع الزمخشرى بعضها كتبه . وهذه نتفة منها فى ( أساسه ) :

« أهل الحجاز يسمون الزرع والطعام ( عيشاً )

سماعى من فتيات مكة : الصوفية [٢] ( اللوفية ) : لأن الطعام لوفاً وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون فى كل شيء لا يحسن الانسان عمله : قد ( محقه ) !

اكتريت من أعرابى فقال لى أعطنى من ( سطاتهن ) أراد من خيار الدنانير

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السق — : يا سيدى هل ( أهب ) عليه التراب بمعنى هل أجمله عليه ، وهو من الهبة لأن معنى وهب له الشيء جمله له

رأيت العرب يسمون الكزبرة ( الدقة ) وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجُوالق [٣] (استشق به) أى حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : ( عكشتك ) بمعنى سبقتك من قوله ( عليه السلام ) : « سبقك إليها عُكّاشة » وهو عكاشة بن محصن الأنصارى »

ومما أورده الامام الزمخشرى في ( كشافه ) : « مما طنَّ على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشُّقدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق ، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ، أردت المحمل العراقى ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه ( الشقنداف ) فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى »

ومن كلمة الأستاذ أزهرى المنصورة « لم يقل أحد شيئاً فى الفعل ( حظى بالشيء ) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وكان هذا الرجل قد جاء مصر وأنشأ فيها مجلة ( البيان ) ثم مجلة ( الضياء ) وعلق ينقد ويغلّط . وكان يغلط كثيراً فى تغليطه ونقده . ومن هفواته التى أذكرها زمن الطلب فى الأزهر تخطئته الأديب الكبير ( حافظاً ) فى قول فى كتاب ( البائسين ) وقد لاقاه بعد هذا النقد حجة الاسلام ( السيد محمد رشيد رضا ) فقال له — وقد سمعنا قوله — : ( يا شيخ ، يا شيخ ، إن الذى خطأته فى كلام حافظ ابراهيم هو فى أول صحيح البخارى ) فبهت الشيخ ابرهيم ، وترك السيد وهو كاسف البال . وكان وقوف الشيخ اليازجى على المعجمات وكتب الآلات أكثر من اطلاعه على كلام العرب ، ومن هنا ومن فرط ميله إلى القياس هوى فيما هوى فيه »

الاسكندرية (***)

(١) قلت : ولادة الزمخشرى سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ كما ذكر ابن خلكان

(٢) فى الأساس : الصوفية زفانة حفانة ، يرقصون ويجرفون الطعام بحفناتهم ، والزمخشرى حرب الجماعة ، وتهجينه إياها فى كشافه كثير

(٣) الجوالق وعاء معروف معرب كواله كما فى الفتح والصواب أنه معرب جوالة بالجيم الفارسية المنقوطة بثلاث من تحت ج جوالق بالفتح (التاج) أى فتح الجيم

للأدب والتاريخ

# مصطفى صادق الرافعي

## ١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٣ —

« سقط من المقالة الثانية والثلاثين المنشورة بالعدد الماضي من الرسالة ، بعض عبارات خفي فيها بعض المعنى ؛ كما وقع بها بضعة أغلاط مطبعية ابتعدت بها قليلا عن النهج ؛ فنعتذر من هذا وذاك إلى قرائنا ، راجين ألا تلزمنا الضرورة مرة أخرى أن نعود إلى مثل هذا الاعتذار »

سعيد العريان

مقالاته للرسالة (٤)

كان فيما تحدث به صديقنا المهندس الأديب محمد ؟ إلى الرافعي من أسباب عزوبته أن الزواج عنده حظ مخبوء ، فإنه ليخشى أن يحمل نفسه على مالا تحتمل من العنت والمشقة في سبيل إعداد ما يلزم للزواج ، ثم تكون آخرة ذلك أن يجلوا عليه فتاة دميمة لايجد في نفسه طاقة على معايشتها ما بقى من حياته ، أو فتاة فاسدة التربية لا يدخل بها على زوجته ولكن على معركة ...

وقد ظل هذا القول عالقاً بذهن الرافعي يلتمس الوسيلة إلى تفنيده والرد عليه ، حتى وقع على قصة احمد بن أيمن ( كاتب ابن طولون ) ، فأنشأ مقالة « قبحٌ جميل » ، وهي القصة الثانية مما أنشأ الرافعي لقراء الرسالة ؛ وهي الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاته في الزواج ، وفيها توجيه معتبر للحديث الشريف : « سوداءُ ولودٌ خيرمن حسناء لا تلد ! » يسلك هذه المقالة في باب «الأدب الديني» الذي أشرتُ إليه في بعض ما سبق من الحديث .

ثم كانت الحلقة السادسة هي قصة « رؤيا في السماء » ، وتتصل بما سبق من المقالات بأسباب ، على أنها تتحدث عن الزواج بمعناه الأسمى ، وتدعو إليه الدعوةَ الانسانية التي تعتبر الزواج باباً من الجهاد لسعادة البشرية كلها ...

في هذه المقالة ؛ لا أعرف سبباً خاصاً من مثل ما قدمتُ دعاه إلى إنشائها ، ولكنها جملة الرأي وخلاصة الفكر وأثر اشتغال الواعية الباطنة قرابة شهرين بموضوع الزواج ؛ فهي من الموضوع كالهامش والتعليق ، أو الحكم بعد المداولة ، أو هي الصفوةُ الصريحة بعد ما يذهب الزَّبد وتنطفيء الرغوة ...

وقد ترجم هذه القصة إلى الفرنسية الأديب الباحث الأستاذ فليكس فارس ؛ وكانت هي أول الصلة بينه وبين المرحوم الرافعي ثم اتصل بينهما الود .

* * *

لما أنشأ الرافعي « قصة زواج » تحدث بها الأدباء في مجالسهم وتضاعفت رسائلهم إليه معجبين مستزيدين ؛ وتضاعف إعجابه هو أيضاً بنفسه .. فاستزاد واستماد ، والتزم الكتابة على أسلوب القصة ، فكان على هذا النهج أكثر رسائله من بعد

وجلست إليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال وهو يدفع إلى طائفة من رسائل القراء : « اقرأ يا شيخ سعيد ... أرأيت مثل هذا ؟ أيحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أيملك كاتب أن يردّ عليّ رأياً من الرأي ؟ ... » ومضى في طرائق من مثل هذا القول عن نفسه وعن طائفة من خصومه ؛ فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التي تتنبه فيها النفس البشرية إلى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، إيماناً هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون ! ذلك الايمان الذي نسميه أحياناً صلفاً وعنجهية وكبرياء ؛ ونسميه في النابهين والعظماء ثقة بالنفس وشعوراً بالقوة !

وكان يلذني في أحيان كثيرة أن أشهد الرافعي في مثل هذه الساعة من ساعات الزّهو والاعجاب بالنفس ، وأجد في ذلك متاعاً لنفسي وغذاء لروحي ؛ لأن الرافعي بما كان فيه من طبيعة الرضا والاستسلام للواقع كان رفيقاً متواضعاً ؛ فلا تشهده في مثل هذه الحال إلا نادرة بعد نادرة ؛ فاذا شهدته كذلك مرة فقد شهدت لوناً طريفاً من ألوانه ، يوحي إلى النفس بفيض من المعاني وكأنما هو يعدي سامعه من حالته ، فيحس في نفسه قوة فوق قوته ، وكأن شخصاً جديداً حلّ فيه ...

... وسرنى أن أجد الرافعى كذلك فى تلك الليلة ، فأصغيت إليه ومضى فى حديثه ؛ فلما انفض المجلس ومضيت إلى دارى ، وسوس إلى الشيطان أن أعابثه بشىء ... فكتبت إليه رسالة بامضاء ( آنسة س ) أرد عليه رأيه فى قصة سعيد بن المسيب وأعيب ما صنع الرجل بابنته ، وعمدت فى كتابة هذه الرسالة إلى تقليد أسلوب من أسلوب الدكتور طه ، يعرفه قراء الرسالة ويعرفه الرافعى ...

وبلغته الرسالة فقرأها ، فنبهته إلى ما كان فيه من أمسه ؛ ووقع فى نفسه أن مرسلها إليه هو تلميذ أو تلميذة من تلاميذ طه موحًى إليه بما كتب فتحمس للرّد، وأنشأ « ذيل القصة وفلسفة المهر » وجعل أول مقاله رسالة (الآنسة س) وراح يسخر منها ومن صاحب رأيها سخرية لاذعة ؛ ثم عاد إلى موضوع فلسفة المهر ...

وقرأ الزيات المقالة فرأى فيها تعريضاً بصاحبه لم يرض عنه ، فكتب إلى الرافعى يطلب إليه أن يوافق على حذف مقدمة المقالة ، حرصاً على ما بين الرسالة وصاحبه من صلات الود ... وكان له ما طلب ، فنشرت المقالة فى موعدها خالية من هذا الجزء ولكنها لم تخل من إشارات مبهمة إلى أشياء غير واضحة الدلالة وكذلك نشرت من بعد فى وحى القلم ...

***

ثم كانت قصة « بنت الباشا » وهى السابعة من مقالاته فى الزواج ، وقد ألهمه موضوعها صديقه (الزبال الفيلسوف) الذى تحدث عنه فى هامش هذه المقالة . وهذه المقالة فيما ترى إليه تعتبر متممة لموضوع « قصة زواج » فهى دعوة اجتماعية لآباء الفتيات إلى الانطلاق من أسر التقاليد فى شئون الزواج ، وفيها إلى ذلك شىء من الحديث عن « فلسفة الرضا » التى أسلفت القول عنها فى « حديث قطين »

أما هذا الزبال الذى نوه به الرافعى فى أكثر من مقالة ، فهو من عمال قسم النظافة فى « بلدية طنطا » ، وكان عمله قريباً من دار الرافعى فى الشارعين اللذين يكتنفانها ، وكان إذا فرغ من عمله في الكنس والتنظيف اتخذ له مستراحاً على حيد الشارع تجاه مكتب الوجيه محمد سعيد الرافعى (المقاول) ، فيقضى هناك أكثر أوقات فراغه ، نائماً أو محتبياً ينظر الرائحين والغادين من أهل الثراء والنعمة ، أو شادياً يصدح بأغانيه ؛ فاذا جاع بسط منديله على الأرض فيأكل ما فيه ، ثم يشعل دخينة ويعود إلى حبوته يتأمل..

كان هذا الزبال صديق الرافعى ، بينهما من علائق الود وصفاء المحبة ما بين الصديقين ؛ وكان الرافعى يسميه « أرسطو الجديد » . وأول هذه الصلة التى بينهما أن الرافعى كان يلذه أحياناً أن يجلس على كرسى فى الشارع أمام مكتب أخيه ، حيث اتخذ الزبال « محله المختار » فكان يوافقه فى مجلسه ذلك على ماقدمت من وصفه ، فيرفع يده إلى رأسه بالتحية وهو يبتسم ، ثم يجلس ؛ فكان يحادثه أحياناً فى بعض شئونه يلتمس بعض أنواع المعرفة ... ويكرمه ويبره . وأنس إليه الزبال ، فكان يسأل عنه إذا غاب ، وينهض لتحيته إذا حضر ؛ وصار من بعض عادات الرافعى من بعد ، أن يسأل عن الزبال حين يغيب ، وأن يشترى له كلما لقيه دخائن بنصف قرش ، مبالغة فى إكرامه ...

وكان الرجل أميا ولكن الرافعى كان يفهم عنه من حركات شفتيه ، وأحياناً يستدعى بينهما من يترجم له حديث الزبال مكتوباً فى ورقة ، وقد كنت الترجمان بينهما مرة . وكان الرافعى يحرص على هذه الورقات بعد نهاية الحديث كما يحرص الباحث على مطالعة أفكار من غير عالَمه !

ومما كان يدور بين الرافعى وصديقه هذا من الحديث ، عرف الرافعى طائفة من ألفاظ اللغة العامية كان يجهلها ، وطائفة من الأمثال ونبهه ذلك من بعدُ إلى العناية بجمع أمثال العامة ، فاجتمع له منها بضع مئات بمصادرها ومواردها ، وأحسبها ما تزال محفوظة بين أوراقه . كما أفاد الرافعى من صداقة هذا « الفيلسوف الطبيعى » معانى وأفكاراً جديدة فى فلسفة الرضا لم تلهمه بها طبيعته .

ولهذا الزبال صنع الرافعى أكثر من أغنية ، أعرف منها الأغنية التى نشرها لقراء الرسالة فى العدد ٧١ سنة ١٩٣٤ وأغنية أخرى دفعها إلى الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف لتضع لها لحنا يناسبها .

وقد كان فى نفس الرافعى أن يكتب مقالة عن هذا الزبال يتحدث فيها عن فلسفته الطبيعية العملية ، وكان محتفلا بهذه المقالة احتفالا كبيراً ، حتى إنه همّ بموضوعها أكثر من مرة ثم عداها إلى غيرها حتى تنضج ؛ وقد هيأ لها ورقة خاصة كان يجمع فيها كل ما يتهيأ له من الخواطر فى موضوعها ليستعين به عند كتابتها ، ولكن الموت أعجله عن تمامها ، وأحسب أن هذه الورقة ما تزال بين ما خلّف من الأوراق .

سيدى بشر | محمد سعيد العريان

دراسات للمستشرقين

# قيمة التراجم الأعجمية
## الموجودة للقرآن
للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

— ٣ —

وإذا كان الأمر كذلك فليس للانسان بالطبع أن يطلب اعتبار كل ما حوته تراجم المترجمين الغربيين منزهاً عن كل شك . ولكن يمكن مؤاخذة هؤلاء المترجمين — إن قليلاً أو كثيراً كل حسب عمله — على الأمور الآتية :—

(١) أنهم لم يحاولوا فهم القرآن قبل كل شيء من نصه أولاً ، كما يقضى بذلك قانون علم التفسير ، بل إنهم انزلقوا دون تريث فى البحث وتثبت فى الاستقصاء إلى الخرافات القصصية التى ذكرها العرب ، وإلى شروح المفسرين المتأخرين التى جارت الافتراض المذهبي التأملي ، والتى مر ذكرها

(٢) وأنهم كانوا على العكس من ذلك ، قليلى الاهتمام بالبيانات اللغوية التى أوردها المفسرون العرب

(٣) وأنهم لم يعنوا إلا قليلاً بمختلف قراءات القرآن التى عرفت لعهدهم

(٤) وأنهم كانوا يبحثون دائماً عن عناصر يهودية ونصرانية فى القرآن ، ناسين أن الرسول (صلعم) نشأ في أيام الجاهلية وأنه لذلك تأثر بادئ ذى بدء بعادات ذلك العصر وبالاتجاهات والأسلوب واللغة لشعر ذلك العهد ، إذ كان للشعر أهمية عظمى فى الحياة الثقافية للعرب الجاهليين

(٥) وأنهم لم يكونوا من المسيطرين على دقائق علم النحو القديم ولا هم من المتمكنين من المجاز والاستعارة والمعانى الاصطلاحية فى اللغة العربية الفصحى لعهدها المتقدم

(٦) أن تراجمهم كانت حرة أكثر مما يجب ، وأنهم لم يفقهوا الكثير من المواضع العويصة المبهمة الواردة فى القرآن ، ولذلك كثيراً ما يحصل القارئ على معنى لا ينطبق بحال على ما حواه النص الصحيح

ولأبرهن على أن حججي التى أوردتها مسبَّبة ومدعَّمة آتي بمثل مجسم هو معالجة ما صارت إليه ترجمة الصورة الحادية عشرة بعد المئة فى مختلف التراجم الموجودة[١]

ونص هذه الصورة الصغيرة الشهيرة هى :

(١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(٢) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

(٣) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ

(٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

(٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

كذا فى المصحف الشريف طبع المطبعة الأميرية وكذلك فى المصحف طبع (Flügel) فلوغل . وسيأتى الكلام عن بعض الرسوم الهامة التى وردت بها هذه السورة . وإلى جانب هذا نذكر ما يلى :

فى الآية الأولى : وردت أَبُو بدل أَبِى ؛ أنظر الشواذ لابن خالويه صحيفة ١٨٢ ، والكشاف للبيضاوي ، وغيرهما . ووردت لَهْبٍ بدلاً من لَهَبٍ ؛ أنظر التيسير للدانى صحيفة ٢٢٥ ، والكشاف ، والإملاء للعكبرى ، وتفسير غريب القرآن للنيسابورى (حاشية تفسير الطبري ، الطبعة الأولى) الجزء الثلاثين

وأورد أُبَى بن كعب بين الآية الأولى والثانية الآية التالية :

حَالَفَ الْبَيْتَ الْوَضِيعَ عَلَى الْبَيْتِ الرَّفِيعِ فَشَغَلَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ شُغِلَ

راجع :

Jeffery, Materials for the History of the text of the Qur'àn (Leiden 1937), 180.

وفى الآية الثانية : وردت اكْتَسَبَ بدلاً من كَسَبَ

---

(١) راجع :

ZDMG, N. F., XI, S. jo* ff. — Paret's "neve Deutung" von
حافظات للغيب و ما كنا للغيب حافظين
Sure 4, 38 (34) bezw. 12, 18 sowie
أهل البيت
Sure 11, 76 (73) und 33, 33 ( Littmann=Festschrift S. 125 ff.)
أعتبرها غير موفقة

(ابن مسعود) ، أنظر Jeffery a. a. O. 112, وابن خالويه صحيفة ١٨٢

والرأى عندى أن الذين ترجموا القرآن حتى الآن لم يترجموا من هذه الآيات الخمس الصغيرة سوى الآية الثالثة ترجمة صادقة ، أما الآيات الأربع الأخر فقد أساء الجميع دون استثناء فهمها

الآية الأولى والثانية : الفعل الماضى تَبَّتْ وتَبَّ الوارد فى الآية الأولى من السورة ، وكذلك الفعل ما أغنى الدال على نفى أو على استفهام فى معنى الانكار الوارد فى الآية الثانية ترجمها أغلب المترجمين بما يدل على تمنٍّ — أى دعاء بالشر ؛ أو أنهم ترجموها — بما لا يختلف عن ذلك كثيراً — بما يدل على معنى الاستقبال ؛ ويندر من ترجمها بما يدل على معنى الحال . والتمنى سواء كان للخير أو للشر يكون فى اللغة العربية الفصحى ، كما هو معروف ، بواسطة المفعول المطلق — انظر من تراجم القرآن مثلا : ( Sale ) سال ( غالباً لندن طبعة سنة ١٧٣٤ ، والنسخة التى لدى طبعة لندن سنة ١٨٥٠ ؛ ( Wherry ) ورى

A Comprehensive Commentry on the Qurân :
(Sale's Translation, London 1882-86, vol. IV, 293)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة ( Sale ) سال الانجليزية . وكذلك انظر ( Kasimirski ) كازيمرسكى ( ترجمة القرآن طبعة ( Paris ) باريس سنة ١٨٤٠ غالباً ، والنسخة التى طبعت سنة ١٨٦٥ ) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة ( Kasimirski ) كازيمرسكى الفرنسية وكذلك انظر (Ullmann) ألمان ( ترجمة القرآن طبع Crefeld ) كريفلد سنة ١٨٤٠ ، الطبعة التاسعة سنة ١٨٩٦ ؛ والنسخة التى لدى الطبعة الثالثة سنة ١٨٤٤ ) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Ullmann) ألمان الألمانية . وانظر كذلك ( Sprenger ) شبرنجر فى كتابه

(Das Leben u. die Lehre des Mohammad, I, 484)

ثم أورد الأستاذ أ. فيشر نص ترجمة ( Sprenger ) سبرنجر الألمانية . وانظر كذلك ( Chenery ) شنيرى فى كتابه :

(The Assemblies of al Hariri, translated, I, S. 439)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة ( Chenery ) شنيري الانجليزية . وعاثلهم ( Rodwell ) رودول[1] و ( Palmer ) بالمر و ( Klamroth ) كلامروت و ( Grigull ) جريجل و ( Henning ) هننج و ( Pedersen ) بدرسن فى :

(Lehmann's Religionsgeschichtliche leseb uch)

كتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان لواضعه ليمان ، الطبعة الأولى ، صحيفة ١٣٨ و (Gustav Weil) غوستاف فيل ( فى ترجمته للسيرة الجزء الأول صحيفة ١٧٤ ) وغيرهم . وكذلك عدد من المترجمين الحديثين أمثال : محمد على ( أحمدية إينومانى أشاعاتى إسلام ، لاهور الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠ ) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة محمد على الانكليزية وكذلك :

Grimme, Paderborn, 1923, S. 25

جريمة ، — وأورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة جريمة الألمانية ؛ وكذلك Mardrus ما ورد فى :

Le Koran . . . Trad. littérale et complète des Sourates Essentielle [1] , Paris 1926

— ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة ( Mardrus ) ماردرو الفرنسية ؛ وكذلك ( Bonelli ) بونللى (Milano 1929) — ثم أورد الأستاذ أ . نص ترجمة (Bonelli) بونللى الايطالية . وكذلك ( Buhl ) بوول فى ( Das Leben Mohammeds ) H. H. Schaeder هـ . هـ شيدر ، طبع ليبزج سنة ١٩٣٠ صحيفة ١٦٨ ، — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمته الألمانية . وكذلك ( Pickthall ) بكتهول . طبع لندن سنة ١٩٣٠ ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمته الانجليزية . وكذلك :

(Laï-Mèche et Ben Daoud,) (Oran s. a.)

لاى — ميش وابن داود ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمتها للفرنسية . وكذلك ( Gemîl Saïd ) جميل سعيد استانبول سنة ١٩٢٤

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص الترجمة التركية . ولا تختلف كثيراً عن هذه ترجمة Ismail Hakki إسماعيل حقى ، الطبعة الثانية استانبول سنة ١٩٣٢

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نصها التركى . وكذلك Nykl نيكل ( أنظر فيما يلى ) وغير هؤلاء

( للبحث بقية ) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) لى أن أعتبر هذه الكتب معروفة إجمالا . ولذلك لا أرى وجوب استنساخ ما بها .

(١) "Faite sur la demande des Ministères de l'Instruction Publique et des Affaires Étrangères"

# جورجياس

## او البيان

### لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٦ —

( تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأ كملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! )

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

## الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

( تابع ما قبله )

ج — وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى المفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى ، فانه لن ينتبه أحد إلى الطبيب : وسنفضّل من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك . وقل بالمثل إذا نافس الخطيب أى رجل من رجال المهن الأخرى ، : إذ دائما ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير . لأنه ليست هناك مادة ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إقناعا من طريقة أى صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه ! ، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة ! ولكن يجب ألا نستعمله مع ذلك ياسقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى ، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأصدقاء والأعداء على السواء ، فانه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع ، أوأن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم ! ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب فى الملاعب ، وكوّن فيها جسما قويا ، وأصبح بين جدرانها مصارعا مجيدا ، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحدا من أقرباء والديه وأصدقائه ، وأن يعادى ويكره مدربى الرياضة والسيف فيطردهم من المدن ! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلا بقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار ، وفى الدفاع لا الهجوم ! فاذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلتهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم ، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار وأن فنهم شرير ، لأن الخطأ قائم فقط — كما أرى — فيمن يسيئون استعمال الفن ؟ .

وهكذا نستطيع ياسقراط أن نصدر نفس الحكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شىء لأنه أجدر الناس باقناع الجماهير بما يريد ، ولكن ما كان هذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على نقيض ذلك تماما ؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقا لقوانين العدالة كما هو الحال فى التدريبات الأخرى . فلئن أساء أحدهم — ممن قد أعدّوا له — استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم ، فان يكون لنا الحق — فيما أظن — أن نمتمد على العمل وحده ونكره الأساتذة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن وننفيهم من المدن ، لأنهم لم يلقوا بفنهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله فى أغراض ولأسباب عادلة ، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض ؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ المسئ وأن نطارده ونقتله ، وليس العدل أن نفعل ذلك مع الأساتذة !!

ط — أظن ياجورجياس أنك قد اشتركت مثلى فى مناقشات

---

(١) انتهى جورجياس فى العدد الماضى إلى قول عجيب فحواه أن الخطباء هم أصلح الناس للكلام فى شئون الحرب من حصار وهجوم وتحصين ، وأن الأطباء كثيرا ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان ! وسنرى اليوم كيف يعلن سقراط آراء أفلاطون الخالدة فى ضرورة الترحيب بالنقد ما دام هو الأداة التى تحرر العقل من ظنونه وأخطائه ، وكيف ينثنى بعد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقعه فى التناقض المر المضحك . « المعرب ».

كثيرة ، وأنك قد لاحظت فيها شيئاً : هو أن الناس عندما يشرعون فى المناقشة يجدون مشقة كبيرة فى تحديد أفكارهم من سائر النواحى ، وفى الوصول إلى موضوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لايتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فانهم يغضبون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم بباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بعامل الخصومة دون أن يبغى توضيحا للقضية المعروضة . ولذلك ينتهى الأمر ببعضهم إلى تبادل الشتائم المقذعة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بغيضة ممقوته ، كما ينتهى بالمشتركين إلى (المساعدين) فى المناقشة إلى أن يستنكفوا من وجودهم فى مثل تلك الأحوال [1]

فهل تدرى لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه يلوح لى أنك لا تتكلم الآن بنحو مجد وبطريق يلتئم تماما مع ما قررت من قبل عن البيان ! ؛ وأفهم أنى إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدى هو أن أناقضك وأن أقوم فى وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؛ فاذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسائلك باغتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك ، وهاك نظرتى : إننى من أولئك الذين يحبون أن يُناقَضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يُناقِضوا غيرهم عندما يرونهم حائدين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضون هم غيرهم ! إذ الحق أنى أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيما ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولا من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أنى لم أعرف بعد وزراً يعدل وزر أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الموضوع الذى نعالجه [2] ؛ فاذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلى فى النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن نتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنى لأخبرك يا سقراط بأنى من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نعنى كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا فى الحديث لأنى قد شرحت لهم أشياء كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها ثانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبقى منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث [1]

س — إنكما لتسمعان بنفسكما يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذى يحدثه الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم فى الانصات إليكما إذا واصلتما الحديث وأرى من ناحيتى أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرنى إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والمنطق كيما أشتغل بما هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فأنا الآخر أشتغل بأعمال كثيرة ولكنى لا أعرف منها أبداً عملا واحداً يسبب لى من اللذة بقدر ما تسبب لى هذه المناقشة . ولعل هذا هو السر فى أنكما تطوقان جيدنا بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئتما وتناقشتما هكذا طوال اليوم !

ط — لن تجد يا كاليكس أية عقبة من ناحيتى إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكونن عاراً على ألا أوافق بعد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلى من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام فى ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جديراً بالعرض [2]

ط — فلنعرف إذا مايدهشنى من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تقل غير الحق وأننى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب فى دروسك خطيباً !؟

ج — نعم

ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام فى كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقنعهم دون أن يعلمهم !؟

ج — تماماً [3]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(١) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلنحن الرأس إذن لأفلاطون !

(٢) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة

(١) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فيما سلف له من قول فى منزل كاليكس ، وهو لذلك يبغى الكلام فى أشياء جديدة بحجة أن تناول القدم يصرف المستمعين عن المناقشة

(٢) إنها الحيرة المتكبرة التى تحمل الأستاذ المغرور على هذا الرد الماكر

(٣) هكذا تدخل المحاورة فى موضوعها الأساسى شيئاً فشيئاً وأحسب القارئ الكريم قد بدأ يلمس معنا طرافتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة نقدها وتهكمها « المعرب »

التاريخ في سير أبطاله

# ابراهام لنكولن

## هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ... ...

— ١٩ —



وجاء يوم الانتخاب ففاز لنكولن وأصبح رئيس الولايات المتحدة ، أصبح فالق الأحشاب الخليفة الخامس عشر لوشنجطون المظيم بطل الاستقلال . فكأنما كان مجيئه يومئذ من تدبير الأقدار لقرن اسمه في تاريخ أمريكا باسم محررها الأول فعليه اليوم أن يمسك بنيانها أن يخر من القواعد

وكان نجاح ابراهام محققاً قبل يوم الفصل بما كان لحزبه من جاه ونفوذ في أهل الشمال وهم أكثر عدداً وأحكم سياسة من أهل الجنوب ، وذلك فضلا عن اتحاد كلمة ذلك الحزب ونشاط أعضائه بينما كان يتنازع الديمقراطيون ويتنابذون كأن بينهم عداوة على أن خصوم ابراهام يعيرونه بهذا الفوز إذ كانوا لا يعدونه فوزاً ، فهم يقولون إن ما ناله منافسوه من الأصوات يربو كثيراً على ماظفر به ، هذا إلى أن عدداً من الولايات الجنوبية لم يجد عليه أهلها بصوت واحد ... ولكن أصحابه يعلنون أنه الغالب فانه ليندر أن فاز قبله أحد بمثل ما فاز به من الأصوات وإن بينه وبين دوجلاس أقوى منافسيه وأقدرهم لفرقاً كبيراً يشهد بغلبته وعظم مكانته ...

وكان على ابراهام أن يقضي أربعة أشهر أخر قبل أن يحتفل بتسلمه أزمة الحكم فقضاها في سبرنجفيلد بينما كان الرئيس بيوكانون يكمل مدته بقضاء تلك الأشهر في البيت الأبيض في وشنجطون

ولبث ابراهام في سبرنجفيلد يلقى زائريه كل يوم ويمشي في الطرقات بين الناس لا يجمل بينه وبينهم كلفة ولا يتخذ من دونهم حجابا، يحييهم فيدعوهم بأسمائهم ويردون فيدعونه بأحب أسمائه إليه، فنهم من يناديه أيب الأمين ومنهم من يناديه أيب العجوز ومنهم من يقولها مجردة من النعوت

وتبدو « أيب العجوز » يومئذ أقرب النعوت منه وأعلقها به ، فإن على محياه لكآبة هي من أثر ما يهجس في نفسه ، وإنه اليوم لكثير التأمل والاطراق لا يسمع الناس من أقاصيصه ما كانوا قبل يسمعون ، ولا يشهدون من عذوبة روحه ما كانوا يشهدون

أما امرأته فرحة طروب ، لا تملك نفسها من الزهو حينما تقف إلى جانب بعلها في شرفة الدار وهما يطلان على الجماهير الهاتفة وإن كانت لتكره وتتبرم منه بهذا الوجوم وهذا الصمت ، وإن كانت لتنكر عليه مايظهر فيه من ملابس وخاصة قبعته التي ألحت عليه وما تفتأ تلح عليه أن يستبدل بها أخرى جديدة فلا يطيع !

وحق له أن يبتئس وأن يرتاع فما تزال تترامى إليه الشائعات والأنباء المزعجات ، فهذه صحيفة من صحف الجنوب تعلن نبأ اختياره للرياسة تحت عنوان أخبار خارجية ، وهذا حاكم كارولينا الجنوبية يتناول المعول فيهدم أول حجر من بناء الاتحاد ... لقد استقال أعضاء الشيوخ لهذه الولاية وانسحبوا من وشنجطون ، بينما أخذ الحاكم يعد ما استطاع من معدات الحرب وصحفه تذيع في صراحة أن قد صار الاتحاد أثراً بعد عين ؛ وهو يسعى بالتفرقة ويحرض الولايات الجنوبية على الانسحاب بعد أن أعلن على

لسان المجلس التشريعي في ولايته أن لا صلة لهذه الولاية بالاتحاد وما كان ارتياعه عن خور حين آذنت العاصفة بالهبوب ؛ ولعمري مايكون الخوف كل آونة جبناً ولاالدم كل يوم حلالاً . ثم لعمري مايكون الاقدام في كل موقف شجاعة، ولاالوثوب في كل مأزق بطولة ؛ وإلا فما أضيع الحكمة ، وما أتفه البصيرة ، وما أسخف الأناة ... وما كان يخاف أبراهام إلا أن تصيب بلاده فتنة تذهب بكل شيء

وإنه ليدور بعينيه في هذه المحنة يبحث عن الرجال الذين يشدون أزره فيرى — والأسى يرمض فؤاده — أن رجال حزبه أنفسهم لا يرون رأيه فهم يميلون إلى مصالحة أهل الجنوب وعلى رأس القائلين بذلك سيوارد ... ولكن أبراهام يعلن إليهم في ثبات عجيب أن مصالحة أهل الجنوب معناها التهاون في المبادئ والتسليم بانتشار العبيد والاعتراف بحقهم في اتباع القوة وفي الانسحاب من الاتحاد وهو لن يأمن أن يعودوا إلى ذلك في أي وقت ؛ فيسمعون ذلك ولكنهم لا يعقلونه ويحملونه كل ما عساه أن يترتب على موقفه من مصائب

والنذر لا تني تأتي من الجنوب بما يقلق المضاجع ويزعج النفوس ، فها هي ذي ست ولايات أخرى تنسحب من الاتحاد وتنضم إلى كارولينا الجنوبية فتؤلف من بينها اتحاداً جديداً تختار لرياسته جفرسون دافيس ... وهكذا يصبح في البلاد حكومتان ! وهكذا ينهار البناء حجراً بعد حجر والرئيس الجديد ما يزال في سبرنجفيلد يشهد ما تفعل العاصفة

ويحمل البريد إلى ابراهام كل يوم آلافا من الرسائل بينها نوع جديد تنفر منه نفسه ، بينها نوع ملؤه الوعيد والسباب وتفصيل صور الموت التي تنتظره إن هو مضى فيما هو فيه وأصر على عناده ؛ وهو يطوي تلك الرسائل ليلقي بها في النار مخافة أن تقع عين امرأته على صور الخناجر التي تتوج الكثير منها ...

ويتطلع ابراهام في هذا المأزق الشديد إلى وشنجطون ليرى ما عسى أن يفعله بيوكانون الرئيس القائم ؛ ولكن بيوكانون لا يتحرك فيزيد بتهاونه النار اشتعالا ثم يصرح بأنه إذا لم يكن للولاية حق الانسحاب من الاتحاد فليس لحكومة الاتحاد حق ردها إليه بالقوة إذا هي انسحبت فيكون بتصريحه هذا كمن يلقي الحطب على النار حين يجدر به أن يلقي عليها الماء ... ! وتشيع الخيانة في وزرائه فيرسلون الرجال والمال إلى الولايات الجنوبية ويستقيلون ...

ويشتد عدوان أهل الجنوب وقد اتخذ الاتحاد الجديد هناك دستورا جديدا يقر نظام الاستعباد ويعلن أنه أمر مشروع من ناحيتي الدين والخلق ونظام الاجتماع ... ويعظم هياج العاصفة ويشتد دويها ...

وإبراهام في سبرنجفيلد كالسنديانة المظيمة لا تهز العاصفة إلا فروعها ، ولن يصيب الجذر مصيبة إلا أن تزلزل من تحته الأرض فتنشق فتميد ... يخوفه سيوارد عاقبة الأمر فلا يحجم ولا يلين ؛ ويسخط أهل الشمال أنفسهم على إبراهام ويظنون به الظنون ، ولكنه يقول ذات مرة لرجل ممن يحاورونه « اذهب إلى شاطيء النهر وخذ معك غربالا متيناً فاملأه بالحصى ؛ فسترى بعد هزات قوية أن الرمل وصغيرات الحصى تنفذ من الثقوب وتتوارى عن الأعين إذ تضيع على الأرض ، وتبقى في الغربال الحبيبات التي تزيد عنها حجما إذ أنها لا تنفذ من بين الخيوط ... وبعد هزات أخرى متكررة يتبين لك أنه من بين القطع الباقية في الغربال تصل كبرياتها إلى القمة ، وهكذا فإنه إذا لم يكن من الحرب بد وأن هذه الحرب سوف تهز البلاد من وسطها إلى جوانبها فانك ستجد صغار الرجال يتوارون عن الأنظار في هزاتها، وبينما ترتكز الكتل على قواعد ثابتة ويرتقي أكابر الرجال إلى القمة ؛ ومن هؤلاء يبرز أعظمهم فيكون منه قائد القوم في الصراع القائم ... »

هذا هو العزم الذي لا يعرف التردد ، ولكن من وراء هذا العزم نفساً شاعرة وقلباً يحب الخير وينأى بجانبه عن الشر وينفر بطبعه منه ؛ وما كانت هموم نفسه إلا مما يريد أن يدفعه عن بلاده من شر ويل فهو لا يهمه أن يذوق الموت بعد أن وطد على الجهاد عزمه ووهب إلى بلاده نفسه ...

ها هو ذا قد وصل في بلاده إلى القمة فهل ابتغى من وراء ذلك جاهاً أو تلهى بالعرض عن الجوهر ؟ هل تنفس الصعداء واستكان إلى الدعة وجعل من المنصب متعة وغرورا ؟ كلا فها هو ذا يجعل من وصوله إلى هذه المرتبة مبدأ مرحلة جديدة

في جهاده المرير ... وإنه ليحس أنه هالك في هذا الجهاد ولا محالة ففي نفسه من المعاني ما يشير إلى ما سوف يلقاه من خطوب وويلات ... تحدث هذا الصنديد الجلد إلى صديق له بعد فوزه بالرياسة بسنوات يصف ما كان يهجس في خاطره عقب ذلك الفوز فذكر أنه نظر يومئذ ذات مرة ، وقد جلس متعباً على مقعد، إلى مرآة أمامه فرأى فيها لوجهه صورتين فهب من مكانه يستوثق من ذلك فامحت الرؤيا ولكنها عادت كما كانت حين عاد فجلس ؛ وكانت إحدى الصورتين تخالف الأخرى في أنها تبدو مصفارة مخيفة . ولقد أوجس إبراهام خيفة في نفسه ؛ ولم يكن خوفه مما رأى في ذاته بل لما انبعث منه في نفسه من المعاني . ولقد تكرر ذلك المنظر بعد أيام ثم انقطع على رغم محاولاته أمام المرآة ... أما امرأته ففسرت ذلك بأنه سيختار للرياسة مرة أخرى ثم يموت في تلك المرة ! يالله ما أعجب نبوءات هذه المرأة !

وكأنما كان صاحبنا يحس ما يخبئه له الغد من مكروه فهو يقدم في عمله على علم بما وراءه ولذلك لا يتهيب ولا ينكص ، يحذر ويتدبر أن تصيب بلاده دائرة ...

وظل يمني نفسه أن يثوب أهل الجنوب إلى رشدهم فتخشع للحق قلوبهم ، ولكنهم في شطط من عنفهم وغرورهم . فها هي ذي الأنباء تأتي بجديد من كيدهم ، وبيان ذلك أنه كانت لحكومة الاتحاد حصون في الولايات الساحلية بها جند تحميها وكان من تلك الحصون في كارولينا حصنان أهمهما حصن سمتر ، فأرادت كارولينا أن تستولي على الحصنين لتتم سيادتها فلم تفلح إلا في أحدهما ، وكان ذلك عقب إعلان انفصالها

واحتمى الجند في حصن سمتر وأرسلوا إلى الرئيس بيوكانون أن يمدهم بالمؤن والذخيرة ، فلم يستطع بيوكانون أن يصم أذنيه عن هذا الطلب وأرسل سفينة تحمل المؤونة والرجال ولكن أهل كارولينا أطلقوا عليها النار في ميناء شارلستون وأجبروها على الرحيل ... وطلبت حكومة الاتحاد الجنوبي تسليم حصن سمتر فرفضت الحامية بقيادة القائد اندرسون أن تسلم ، فضرب عليها الحصار ... وبات في الواقع أهل الشمال وأهل الجنوب في حرب

وعاد سيوارد يلح على ابراهام أن يتفق أهل الشمال مع أهل الجنوب على شروط تخفف من غضبهم ، فرفض ابراهام ذلك وأعلن أنه مصر على الرفض مهما يكن من الأمر ... ولما يئس سيوارد من إقناعه عرض عليه أن يزحف على العاصمة في جيش من المتطوعين ويأخذ بيده زمام الأمور من بيوكانون قبل أن يستفحل الشر فرفض ابراهام أن يفعل ذلك لما فيه من خروج على الدستور ...

وازداد الموقف خطورة حين ترامى إلى سمع لنكولن أن كثيراً من الناس يودون لو ينسحب ويدع تقرير الأمور إلى رئيس غيره من جديد ... ولو أن رجلا غيره في موقف مثل موقفه هذا لخارت عزيمته ، وانكسرت نفسه ، ولكنه ما وهن ولا استكان وما زادته الشدائد إلا صبراً وعزماً ولا المحن إلا رغبة في الجلاد والنضال ...

وجلس يختار مجلس وزرائه فعظمت حيرته ووقع اختياره أول ما وقع على سيوارد وقد وقف إلى جانب إبراهام بعد أن رأى من ثباته ما لم يتعلق به من قبل وهمه ، ورضي سيوارد بادئ الرأي أن يعمل معه في مركز يعادل مركز وزير الشؤون الخارجية في الحكومات الحالية مضافاً إلى ذلك أنه كاتم سره ومستشاره وحامل أختامه .. وأخذ إبراهام يبحث عن غيره ممن يأنس فيهم الكفاية في مثل هاتيك الشدة ...

وجال إبراهام جولة في البلاد التي قضى فيها صدر شبابه ، وزار من لا يزال على قيد الحياة من أهلها ، وحج إلى قبر والده وأوصى أن يعنى به ، وبعد أن قضى أرب مشاعره ولبانة قلبه عاد إلى سبرنجفيلد ليودع أهلها قبل رحيله إلى وشنجطون ...

ولما أزف يوم الرحيل لاحظ على وجوه أهل المدينة شيئاً مثل ذلك الذي يبدو على وجه من يوشك أن يرحل عن وطن اشتد حبه له وعظم تعلقه به ، ولقد زاده هذا نحولا على نحوله وهماً على همه ، وكذلك اشتد أسف الناس فهم لا يدرون كيف يصبرون على رحيله عن مدينتهم ولقد كان لصغارهم الأب العطوف الرؤوف ولكبارهم الصديق الوفي ، والناصح الأمين . ولكنهم يتأسون عن فراقه بما باتوا يأملونه من خير للبلاد جميعاً على يديه

« يتبع »

محمود الخفيف

بين العقاد والرافعي

# غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٤ —

لا يزال صاحبنا « الغمراوى » ماضياً فى طريقه ، عند السفح من مدارج الاحساس والفن والحياة . وما يزال يظن المسألة ردوداً ومحالا . بينما نحن لم نرد إلا أن ينتفع هو وأمثاله ومن هم خير منهم كذلك بما نكتب ، وأن يخرجوا قليلا من ذلك الطابق المغلق الذى ينزوون فيه ، إلى عالم النور والطلاقة والفن الجميل ، المتحرر من القيود والقشور ، فيحسوا — ولو مرة — دفعة الحياة ، وطلاقة الفن ، وفسحة الشعور . ومن حسن الحظ أن يكون الحديث اليوم عن « غزل العقاد » فليحاولوا أن يثبوا ونحن نأخذ بيدهم إلى هذا « العالم » العبقرى الفسيح . وإلا فليعذرونا إن نحن جاوزنا الجحور والمغاور ، إلى المرج الواسع ، أو العلم المسجور !

الاحساس الساذج الفطرى بالحب قريب فى منبته من إحساس الجوع والظمأ ، ومطلب قريب لا يعلو كثيراً على مطالب الجسد ؛ والمتعة فيه غذاء من أغذية الدم واللحم ، والحرمان نوع من المخمص والطوي ، والآلام لون من وخز الجلد أو لذع النار ، أو لفحة السموم. والتعبير عن كل ذلك شبيه بالضحكة والصرخة والآهة والأنين ، من أنواع التعبير الفطرى عن اللذة والألم

والشاعر حين يقف فى إحساسه بالحب ، أو التعبير عنه ، عند هـذا الحد لا يستحق منا لقب الشاعر — بله الشاعر الكبير — وهو لا يستحق هذا اللقب ، حتى يكون له فى حبه منحي خاص ( ليكون شاعراً ) وفلسفة شاملة تجمل من هذا الحب مجتمعاً للأحاسيس الفريدة بأعماق الحياة وأصولها وتتصل بوشائج الطبيعة الكبرى ، وغاياتها البعيدة ، وأنماطها الأصيلة ( ليكون شاعراً كبيراً )

فليس الحب الفنى ، ولا التعبير عنه من السهولة كما يتصورها الكثيرون من ناشئة الشعراء ، ومقلدي النقاد ، إنما هما عمل عسير فى الاستيعاب والتصوير ، وما نقرأ لتسعين فى المئة من الشعراء ، إلا ضحكات وابتسامات أو صرخات وآهات ، يحسبونها غاية الحب وغاية التعبير !

لا تقل : إننى أحب ؛ وإننى أستمتع بالحب ، أو أتعذب وأتألم ثم تحسب نفسك شاعراً ، حتى تقول لنا : إننى أحب على لون خاص ، وأستمتع بالحب بطريقة خاصة ، أو أعذب وأتألم على لون من ألوان العذاب والآلام . ولا تقل : « أنا أطلب الجمال » وتسكت فلا بد أن تبين لنا ما نوع الجمال أو أنواعه التى تستهويك ، وما المعانى التى يشمها فيك هذا الجمال ، وما ذا تفهم من الصلات بينه وبين غايات الحياة الكبرى ، وما ذا بينه من الوشائج وبين الطبيعة فى كيانها ومراميها

والعقاد وحده فى الشعر العربى كله هو الذى يقول لنا هذا فى عمق ودقة وقصد ، ويصوره بأوضح وأصح ما يستطاع . وأقول « فى الشعر العربى كله » وأنا أعنى ما أقول ، فما يوجد شاعر واحد يجتمع له فى شعره العربى ما اجتمع للعقاد ، وتتوفر فى نفسه هذه الأوتار المتعددة ، التى يوقع عليها الحب هذه النغمات كلها ، ويخرجها هكذا واضحة سليمة

نعم ، يوجد بعض هذه الأوتار ، متفرقاً فى نفوس الشعراء ولكنها لا تجتمع هذا الاجتماع ، ولا تلتئم هذا الالتئام فى نفس واحدة ، وما يوجد منها متفرقاً لا يبلغ فى تفرده وخصوصه وطرافته هذا المبلغ عند أولئك الشعراء

فاذا خطر لأحد أولئك الذين يفغرون أفواههم لسماع هذا الكلام ، ويستنكرون تقرير الحقائق وليس لهم من البرهان على إنكارهم إلا إشارات الصم البكم ، فليأتوا ابنظائر لكل هذه الأوتار والنغمات لشاعر عربى واحد حتى الآن ، أو لعشرة مجتمعين فى جميع العصور

***

وقبل أن نعرف « ما الحب » عند العقاد ، لا بد أن نعرف « ما الجمال » الذى يثير هذا الحب ، ويدفعه إلى الغزل والتعبير

عرف القراء مما نقلناه عن رأى « شوبنهور » فى الجمال ، وتعليق « العقاد » عليه ، أنه يرى الجمال فى « الحرية » وفى العدد الفائت من الرسالة توضيح لهذا الرأى حين يقول :

« رأيى فى الجسم الجميل أنه الجسم الذى لا فضول فيه ، وأنه

الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير محمول على سواه.

« من هنا جمال الرأس الطامح والجيد المشرئب ، والصدر البارز ، والخصر المرهف الممشوق ، والردف المائل ، والساق التي يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها ، أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ولا تنهض بعبء من الأعباء »

ويقول من الكلمة نفسها في وصف فتاة :

« على شاطئ الاسكندرية ـ والمصادفة من أجمل المصادفات ـ طيارة في الهواء ، وفتاة على الأرض هي أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ، بل هي تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة ، تفلت من لحظات العيون ، وخطرات الأرواح

« لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها ، وسرحت في معانيها ، فاذا هي بعيد بعيد ، أبعد من الفراش الذي يقع عليه الطفل ، فاذا هو على الغصن ، ويثب إليه في غصنه فاذا هو في الهواء »

وقد عثرت أخيراً في الديوان على امتداد لهذا الرأي ، يريد أن تبلغ الحرية بالجمال ألا يشعرنا حين ننظره بتعلقنا وتقييدنا به ، بل يطلقنا نسبح في الآفاق ، ونسمو على الحدود والقيود

والجميل الحق ما يذهلنا عنه ، لا ما فيه للحس إسار

والجمال عوض عن شين كثير من النفوس في هذه الحياة ، وتكفير منها عن هذا الشين ، كما أنه رمز لآمال الحياة في مستقبلها الموموق ، تشير به إلى ما يختلج في صدرها من الشوق للكمال :

أغلى جمالك في النواظر أنه عوض لشين في النفوس كثير
وأماله منا المفادة أنه في الأرض رمز كمالها المحظور

وفي الجمال غناء عن الدنيا كلها ، وهو نعيم قريب كالنعيم المتخيل في الآخرة كذلك ، فهو نعيم الدنيا حين يقول :

إن نفوني اليوم من دنياهمو وأباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا ما تشأ منها نجذ قلت : هذا . وعلى الدنيا السلام
قلت : هذا ، وتطلعت إلى هوة الغيب وفي الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طرا في نظام ؟
وإذا قبلته مستضحكا في تخوم الكون والكون سدام
فهو سخرى بالذي ودعته واغتباطي بمقامي حيث قام

وهو نعيم قريب كنعيم الآخرة البعيد حين يقول :

أيها الباحث عن كوثره في السموات . لقد شط المزار
إنما الكوثر ثغر باسم من حبيب لك مأمون النفار

والوجه الجميل ، هو « الصدق » في هذه الحياة ، الذي ينفي عن النفس الريب والشكوك فيها

لك وجه كأنه طابع الصد ق على صفحة الزمان المثوف
إن يوماً يمر بي لا أراه هو يوم أعده في الزيوف

وهو كذلك داعية الرجاء في هذه الدنيا ، ومنبع التفاؤل والقبول :

أرى لك أنت فلسفة صراحا بلمح العين أقرؤها جميعا
أذم العيش في ألفي كتاب وتعرض لي فأمدحه سريعا !

والجمال هو الفضيلة ، أو الفضيلة هي الجمال :

شرعك الحسن . فما لا يحسن فهو لا يحلو وإن حل الحرام
ليس في الحق أثام بيّن غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن فاستبحه وعلى الدنيا السلام

ولهذا يحلل الجمال كل شيء ، ويمنحه الفضيلة والعفة والثناء :

كل الثياب لمن يزين ثيابه عف حميد !

والجمال حرم مقدس يحترمه الخصوم والأصدقاء ويلقون لديه السلاح حيث لا تصنع ذلك المعاهدات و « عصبة الأمم » والشرائع والقوانين :

حرم بميدان الحيا ة وملجأ لا يعتسف

والجمال الانساني يرقرق جمال الكون ويصفيه ، ويظهره خلاصة نقية :

لا أرى الدنيا على نور الضحى حبذا الدنيا على نور العيون
هي كالراووق للنور فلا نور إلا صفوها العذب المصون

وهذا الجمال خلاصة جمال الدنيا ، وخلاصة تجارب الحياة في مثل الكمال . وله في هذا قطعتان بارعتان : الأولى بعنوان «نشوء وارتقاء» ، يتحدث فيها عن جميل كان مولده في الشتاء :

زانك الله بصفو وسلام يا شتاء
طال بي فكر الليالي أو ما فيك عزاء ؟

* * *

قال لي : هاك نخذها زهرة مني إليك

ذات حسن وحياء ... ولها فضل لديك
وسمت بالفكر فاقبس[1] ... فكرة في راحتيك
قلت: حقاً يا شتاء ... هي حسن وحياء
غير أني وهي صمت ... ليس لي فيها عزاء

* * *

قال: يرضيك إذن شا ... دٍ من الطير مجيد
هو للجنة يدعى ... وله منها نشيد
يعشق الليل وإن لم ... يك فيه بوليد
قلت: حقاً يا شتاء ... هو حسن وغناء
غير أني وهو صوت ... ليس لي فيه عزاء

* * *

قال: يرضيك إذن سا ... رٍ من البرق بشير
يصدع الظلماء، يزجي ... عارض الغيث، ينير
فيه من قلبك نبض ... ومن اللمح سمير
قلت: دعني يا شتاء ... من شعاع في فضاء
أئذا جاد بغيث ... كان لي فيه عزاء؟

* * *

قال: والشمس فما ظنـ ... ـك بالشمس ذكاء؟
كلما عدت بها سبـ ... ـح عشاق السماء
قلت: حقاً يا شتاء ... هي نور ورجاء
غير أني وهي صبح ... ما عزائي في المساء؟

* * *

قال لي: أنفدت كنزي ... كله بين يديك
غير ذخر من بني الانسان ... أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليل ... قصارى غايتيك
أتراه؟ قلت: حقاً ... هو في الدنيا العزاء
هو حب وحياة ... وربيع يا شتاء!

* * *

من بني الانسان في ذا ... ت شتاء ولدا
زينة للعين والأ ... ب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا ... ء صاف كالندى
كنبات الروض مفتـ ... ـن الحلي جم الحياء
وارف كالظل مُحيي ... في شذاه كالهواء

* * *

يا شتائي فيم إخفا ... ؤك هذا السر عني
أي روض أي برق ... أي شمس فيك أغني
أنا مستغن به عنـ ... ـها فماذا عنه يغني؟
قد تملتَ وأبقيـ ... ـت أفانين السخاء
منذ عشرين وخمس ... من سني الدهر سواء

* * *

تم عندي كل ما تهـ ... ـطلي إذا تم العطاء
وجميل كل بدء ... ينتهي خير انتهاء
وجميل زهرك النا ... مي على هذا النماء
صدق العلم وقال الـ ... ـحب حقاً يا شتاء
سنة الزهر نشوء ... في المعاني وارتقاء

هذه قطعة لا أجدني مضطراً لشرح ما فيها من الجدة والطرافة، فوق الدلالة على فكرتها المقصودة، وفوق تناسقها الفني مع طبيعة الشتاء التي لا تمنح ذخرها إلا ذرة ذرة على ضن وبخل. فمن لم يحس هذا كله بمجرد قراءتها، فخسارة ألف خسارة أن نضيع الوقت في أن نخلق له إحساساً وما نحن بقادرين. وأما الثانية فبعنوان «الثوب الأزرق» وهي كزميلتها في الطرافة البارعة:

الأزرق الساحر بالصفاء ... تجربة في البحر والسماء
جربها «مُفصِّل» الأشياء ... لتلبسيه بعد في الأزياء
مجوَّد الاتقان والرواء ... ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزبد الوضاء ... زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسياء ... ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء ... وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء ... يخطر فيه زينة الأحياء
مُقَبَّلٌ مبتسم الأضواء ... مردد الأنغام فالأصداء
وقبلة منه على رضاء ... غني عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء ... وعنك يا دنيا بلا استثناء

(1) زهرة «البنسيه» أي الفكرة

وغير هاتين القصيدتين كثير من الحديث عن هذه الفكرة الصحيحة الطريفة مثل :

وكل ما في الكون من روعة    لها نظير فيك حيّ جديد
بل أنت دنيا غير هذي الدنى    وكل حب فيك كون وليد

ويقول عن القُماريّ :

وللأناسي حسن لا أبوح به    هل تعرف الطير ما حسن الأناسي
غنت لزهر وسلسال ولو رشفت    ثغر الباسم جنت بالأغاني

لذلك فالكون حقى بهذا الجمال الانساني فخور به :

فلو لم نولّ القلبَ شطرك لامنا    على الجهل كون بالجمال فخور

ويتضح هذا في قصيدة « عيد ميلاد »

تهيأ الكون من قديم    ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب العظيم    أحيي ببشراك يوم عيد
ومولد « السيد » الرحيم    وافقه المولد الجديد
يوم تهدّى على المديح    وزفه الخلد بالثناء
فالدهر في عمره الفسيح    عوّده البشر والدعاء

والإله حقيٌّ كذلك بهذا الجمال ، فقد تبارت الشفاه في مزاياها ، وتقدم جبابرة العالمين يُدلون بقوتهم ونادى العبقريون الملهمون بمزاياهم :

وأقبل سرب الظباء الملا    ح رخيم البغام مليح الكحل
فقال وفي قوله لثغة    كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجال الكلا    م لنا القول فيكم رجال العمل
لمسنا شفاها ففاضت سنى    وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحيا    ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها    رحيق الخلود وريا الأمل

فماذا تظنه كان رأى الاله الذي جلس ليحكم في المباراة ؟

فأطرق ربهمو لحظة    ونادى بأقربهم فامتثل
وقبّل مبسمه قبلة    تضرم منها مكان الخجل
وقال : أجل ! تلك أغلى الشفا    ه فأصغوا جميعاً وقالوا : أجل !

ومتى برز هذا الجمال الانساني ، فقد بطل كل جمال ، حتى نظم الشعر الذي يستمتع به العقاد ، فهو يخاطب « جيرة البحر » بعد أن سماهن « المعاني الحية » وبعد أن قال لهن : إن الاله والبحر والشمس وهبوا لهن هبات وافرة :

ورأيت رفرفة النسيم على الجسوم الطائرة
فالآن ماذا تنظرون    من النفوس الشاعرة
لم يبق في كنز الخيال    بقية من نادرة
برزت معاني الشعر في    ثوب الحياة الظاهرة
أنتم معانيه فما    تغني النفوس الحائرة
أنتم عرائسه وها    تيك المسارح عامرة
هيهات ما لممثل    أو شاعر من خاطرة
ما الترجمان وتلك أسـ    ـرار التراجم سافرة
فإذا بخلنا بالقصيـ    ـد فعاذر أو عاذره

ومتى كان ذلك شأن الجمال الإنساني البارع ، فهو يخاطب جميلا :

يغنيك حسن أنت لابس تاجه    عن دولة السفاح والاسكندر

وما على الفنان إذن إلا أن يسمع نصيحته الشاعرة :

قسم حياتك بين حسن بارع    يذكي الحياة وحكمة تنميها
ما في سوى الحظين من أمنية    للمرء ينشدها ويستبقيها

وإنه ليعيش هكذا ؛ وقد فهم الجمال ، وعرف صنوفه ، ولاحظه في كل جميل ، وانتهى فيه إلى رأى ، وعلم غاية الحياة منه وقصد الطبيعة فيه ، على هدى وبصيرة

* * *

هذه أبيات متفرقة أو قصائد كاملة عرضناها عرضاً سريعاً وهي ليست كل شيء في ديوان العقاد عن مجرد « تعريف الجمال » عنده ، وهي وحدها ذخيرة نفسية وغزلية ، لو قالها شاعر وسكت ، لكان شاعراً كبيراً ممتازاً ، وهي مع ذلك نصف « المقدمة » للكلام عن « غزل العقاد » !

وما من شك أن الإحساس بالجمال هكذا ، عمل متعب عسير ، غير ميسور لكل الطبائع ، وهو في حاجة إلى طبيعة عميقة ، ونفس فسيحة ، وشعور واغل في قلب الحياة ، يسمع نبضاته ، ويحس آماله ، ويستشعر أشواقه ، ويشارك خفقه وهو ينبض بالجمال

وقد استغرق هذا حديث اليوم كله ، فأما رأى العقاد في « الحب » فسأتناوله في حديث آخر ، وحينئذ نخلص إلى « غزل العقاد » في هينة واطمئنان

( حلوان )    سيد قطب

حول أدب الرافعي

# بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٥ —

لقد أخذنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » أنواعاً من الأغلاط ذكرنا لكل منها أمثلة عدة دون استقصاء . فهناك أغلاط اضطراب في التفكير كالتي ذكرنا في كلمتنا الثانية؛ وهناك أغلاط جور ومحاباة كالتي عددنا في كلمتنا الثالثة؛ ثم هناك أغلاط ضعف في الفهم أخطأ بها الكاتب لب الموضوع كالتي فصلنا في الكلمة الرابعة . وكلها تدل دلالة واضحة على أن كاتب تلك المقالات لم يكن فيها يفكر بعقله وإنما كان يفكر بهواه

إلا أن أغلاط التفكير بالهوى ليست كلها في الدلالة أو في التبعة سواء . فان ذا الهوى المتعصب لمذهب أو لكاتب قد يتأثر عقله بعصبيته وهواه من حيث لايدري، فيقع في الخطأ من حيث لايقصد، وتكون آثار الهوى والعصبية ظاهرة في كتاباته وأحكامه لكل إنسان سواه هو ومن لف لفه . مثل هذا لا يزيد الهوى والعصبية على أن يفسد عليه تفكيره فتصبح أفكاره وآراؤه وأحكامه غير ذات قيمة، ولكن من غير أن يحمل في ذلك تبعة خلقية تذكر

أما إذا تأثر ذو العصبية والهوى بعصبيته وهواه إلى الحد الذي يشعر بأثرهما في رأيه وحكمه ثم لا يقاومهما مقاومة مجدية ولكن يتابعهما ويطاوعهما فيما يوحيان إليه من إخفاء ما لا يوافقهما من الحق ، وتحريف ما يخالفهما من الواقع ، فانه عندئذ يكون قد جمع على نفسه ضعفين : ضعف العقل وضعف الخلق ؛ وتحمل في سبيل هواه تبعتين : تبعة الخطأ وتبعة سوء النية فيه .

وقد كان فيما نبهنا إليه بالفعل من أغلاط ذلك الكاتب غلطتان لا يمكن حملهما على مجرد الخطأ العقلي . وقع في أولاهما حين أراد أن يعتذر عن تغيير رأى كان ارتآه ، فيه بعض مدح للرافعي ، ووقع في أخراهما حين أراد أن يعتذر عن سوء فهم لبعض ما قال الرافعي نبهه إليه الفاضل الفلسطيني على كال . وقد اعتذر في كلا الموقفين بما يخالف الواقع : إعتذر في الموقف الأول بأنه لم يكن حدد نوع الذهن حين قال إن الرافعي أديب الذهن ، والواقع أنه كان حدده تحديداً واضحاً ، وحدده بنفي بعض الأقسام التي قسم إليها الذهن عند اعتذاره ذلك . واعتذر في الموقف الثاني باضطراب وقع خطأ في ترتيب الجمل التي عبر بها عن رأيه ، والواقع أنه لم يكن في ترتيب جمله تلك أي اضطراب ، ولم يكن له عذر في مخالفته الواقع في ذينك الموقفين ، لأنه كان يستطيع الاستيثاق مما قال أو كتب بالرجوع إلى ما كان قد خطه قلمه في موضعه من كلامه إن كان ضعف الذاكرة هو الذي جعله ينسى حقيقة ما كان قد كتب ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوعين . لكن الذي به ليس هو ضعف الذاكرة ولكن صعوبة أو استحالة يجدها في الاعتراف بحق إذا كان عليه ، فاعتذر بما اعتذر به رغم مخالفة الواقع اعتماداً فيما نظن على أن القراء يقل فيهم من يكلف نفسه عناء مضاهاة ما زعم بما وقع منه بالفعل

لكن هاتين السقطتين ليس لهما فوق دلالتهما النفسية أية أهمية ذاتية إذ هما منه وإليه . هو أخطأ وهو يجتهد في ستر خطئه عن الناس ولو بشيء من التوسع في تحديد الصدق . فاذا كان فارق الصدق بهذا فالضرر لاحق به هو لا بغيره . أما إذا كان ضرر ذلك يعود على غيره من قريب أو من بعيد فان وجه المسألة يتغير بقدر ذلك . ويصبح وجه المسألة أشد تغيراً إذا كان الذي يتناوله بالتحريف والتلفيق كلام غيره لا كلامه هو . أما إذا كان الكلام المحرف أو الملفق هو كلام شخص يكرهه قد تصدى هو لنقده وكان التحريف والتلفيق من شأنه أن يؤذي الشخص المنقود كما وقع للرافعي ، فإننا عندئذ نصبح أمام مسألة جديدة تتعدى الإنصاف في النقد إلى الأمانة في النقل ، وتتجاوز الخطأ في الرأي إلى التدليس العمد وإلى محاولة النيل من الخصم في النقد الأدبي عن طريق غير شريف

ومقالات « بين العقاد والرافعي » لم تبرأ من هذا العيب . ولعلنا كنا نعفو فلا ننتبه إليه لولا غرور ومكابرة يبدوان فيما يكتب صاحبها ، ولولا أن صاحبها جعل من الفروق الأساسية بين مدرستي « الرافعي والعقاد » امتياز الثانية على الأولى بما سماه

« الصدق الجميل » من ناحية ، وتصحيح الأمزجة والنفوس بالأدب وللأدب من ناحية أخرى . فنحن مضطرون إلى تبيين ظاهرة كالتى أشرنا إليها ، لا لأنها من الواقع فحسب ، ولكن وفاء بحق النقد واختباراً لتينك الميزتين أمتحققتان هما فى الكاتب كنموذج للمدرسة التى ينتسب إليها أم غير متحققتين

والزلات التى سقط بها الكاتب وجانب فيها الصدق يصح تقسيمها إلي قسمين : قسم يتعلق بتحريف ما كتب إخوان الرافعى عن الرافعى ، وقسم يتعلق بما كتب الرافعى عن نفسه ، وهو أهم الاثنين

ونحن إذ نتعرض لتحريف الكاتب بعض ما قال الأستاذان سعيد العريان ومحمود شاكر لا نريد بذلك أن ننصفهما ، فهما قادران على الانتصاف حين يريدان ، ولكن نريد أن ننصف الرافعى الذى استعان الكاتب على الاساءة إليه بتحريفه قول صديقيه ، متخذاً من قولها المحرف شاهداً عليه

وأول مايلقى الناقد من هذا النوع من سقطات ذلك الكاتب تزيُّده فيما قال العريان في موضعين على الأقل فى مقاله الأول : أولهما يتعلق برغبة الرافعى عن شراء « وحى الأربعين » وهى نقطة تافهة لو لا أن صاحبنا المحلل النفسى مولع باستخراج الخطير من التافه . وثانيهما يتعلق بالبواعث التى دعت الرافعى لنقد « وحى الأربعين »

وقد قدم الكاتب بين يدىْ ما اقترف قوله : « إنما يعنينى اليوم ما كتبه الأستاذ سعيد العريان ! ففيما كتبه وهو أخص أصدقاء الرافعى مصداق لكثير مما تخيلته فيه » . ثم انتقل إلى تفصيل ما أجمل فى هذه العبارة فقال :

« فى إباء الرافعى أن يشترى كتاب وحى الأربعين مع حاجته لنقده ما يشير إلى ضيق الأفق النفسى الذى كان يعيش فيه ، وتصور للون من الحقد الصغير قلما يعيش فى « نفس » رحبة الجوانب الخ »

فأنت ترى كيف أجدت مطالعاته في مباحث علم النفس الحديثة هذه المقدرة على استنتاج الخطير من التافه . وسنسلم له أن كل ما استنتج من ضيق الأفق النفسي والحقد الصغير أو الكبير ينتج من إباء الرافعى شراء كتاب وحى الأربعين مع حاجته لنقده . سنسلم له تلك النتيجة من هذه المقدمة ! لكن بقى أن نثبت المقدمة حتى تصح النتيجة وإلا كان هذا الرجل يفتري على الناس مرتين : يفترى الشتم ويفترى الأسباب إليه .

وقد اعتمد كما ترى فى ثبوت هذه المقدمة على ما كتب أخص أصدقاء الرافعي ، سعيد العريان . فاذا صح هذا فله بعد ذلك أن يستنتج منها ما شاء طبق وحى قراءته الحديثة فى علم النفس .

وواضح أن مدار الاستشهاد فى تلك المقدمة ليس هو إباء الرافعى أن يشترى كتاب العقاد — فما نحسب العقاد ولا قطباً يشتريان شيئاً من كتب الرافعى — ولكن موضع الاستشهاد هو إباء الرافعى شراء الكتاب « مع حاجته لنقده » . فعبارة « مع حاجته لنقده » هى مدار الاستشهاد فى الواقع . وعمدة قطب فى إثبات هذه الحاجة عند الرافعى هو سعيد العريان

لكن سعيد العريان لم يقل شيئاً من هذا بل أخبر بعكس هذا ، أخبر فى مقاله الخامس والعشرين ( رسالة ٢٤٠ ) أنه هو حرض الرافعى على نقده « وحى الأربعين » انتصافاً لخلوف ولدار العلوم ، وأن الرافعى أبى أولا ثم أجاب على شرط ألا يكون هو مشترى الكتاب « لأن عليه قسماً من قبل ألا يدفع قرشاً من جيبه فى كتاب من كتب العقاد ... ! »

ولسنا ندرى متى أقسم الرافعى ذلك القسم ، وليس هذا بمهم الآن ، إنما المهم أولا أن الرافعى لم يرَ حرجاً فى رغبته فى إرضاء صديق ما يبرر نكثه بذلك القسم ، وهذا إن دل على شىء فهو يدل على أن الرافعى أقسم حين أقسم عن عقيدة ، واستمسك بذلك القسم حين استمسك عن عقيدة ، وهذا ضد ما ذهب إليه قطب فى أن الرافعى كان يصدر فى أدبه عن غير عقيدة . ثم المهم ثانياً أن الحاجة إلى نقد « وحى الأربعين » لم تكن بالرافعي ، ولكن بسعيد العريان . العريان حرض الرافعى على النقد كما ذكرنا ولرغبته فى رؤية الأديبين الكبيرين يتصاولان . لكن المسألة على هذا الوضع المتفق مع ما أخبر به صديق الرافعي ، ليس فيها شىء يشهد لقطب فى شىء مما يريد . فماذا يفعل سيد قطب وهو يريد أن يستشهد لنفسه بصديق الرافعى على الرافعى ؟ ينقل حاجة العريان إلى نقد « وحى الأربعين » فينسبها إلى الرافعى ، ويترك الخبر بعد تحريفه منسوباً إلى العريان كما كان ، فيكون العريان بذلك هو الذى شهد على الرافعي ، ويتم لقطب ما يريد من الاستشهاد.

ولا بأس فى ذلك على ما يظهر عند المدرسة الجديدة التى يمثلها سيد قطب ، والتي يميزها عن المدرسة القديمة مذهب « الصدق الجميل »

أما الموضع الثانى الذى تزيد فيه قطب ليستشهد بالعريان على الرافعي فقوله من نفس المقال :

«وفي البواعث التى تدعوه لنقد «وحى الأربعين» كما صورها صديقه ما يصور نظرة الرجل إلى النقد والأدب والغاية منهما ومدى نظرته العامة للحياة واتساع مداها فى نفسه ، وهو لا يبعد كثيراً عن المدى الذى تصورته له » وليس فى هذه العبارة شيء حتى تأتى إلى آخرها فتنقلب دلالتها عندك ويصبح الرافعى المسكين بين صديقه وعدوه قد اجتمعا في الجلة على تجريحه وذمه وكاتبها لا يكلف نفسه بها شيئاً ، فهو يلقيها دعوى عريضة ثم يتحقق بعد ذلك من صحتها من شاء أو لينقضها من شاء ! أما هو فلا يكلف نفسه من إثباتها شيئاً، ويكفيه أن ينتفع فيها بالايحاء النفسى معتمداً على تصديق القارىء إياه فيما يلقى فى روعه عن تصوير صديق الرافعى لبواعث الرافعى على نقد وحى الأربعين . وأكثر القراء حتى من أنصار الرافعى لا يجشمون أنفسهم اختبار صدق دعوى سيد قطب هذه بعرضها على ما قال العريان فى موضعه من فصوله في تاريخ الرافعى ، فيمر أكثرهم وقد وقر فى نفوسهم شيء من هذا الاتفاق ولو فى الجلة بين صديق الرافعى وعدوه على تجريح الرافعى

إنك تقرأ تاريخ نقد الرافعى وحى الأربعين فيما قصه العريان فى فصليه الخامس والعشرين والسادس والعشرين فلا ترى أساساً لهذا الذي يدعيه قطب ، بل ترى شيئاً ينقض فى صميمه دعواه هذه وينقض غيرها مما ادعاه . يعرض الرافعى على العريان ومخلوف أن يختارا أجود ما فى الديوان لينظر فيه ثلاثتهم فما اتفقوا عليه فيه جعلوه حكمهم على الديوان كله . وليس وراء هذا فى إنصاف خصم لخصمه فى الأدب مذهب . فلما استبطأهما فيما انتدبهما له قال « أحسبكما لم تجدا ما تطلبان ولن تجدا ... إذن فلنقرأ الديوان معاً من فاتحته فما أحسب الشاعر يختار فاتحة الديوان إلا من أجود شعره ... ! » وآخر قوله هذا مظهر آخر لنفس الرغبة فى إنصاف العقاد وإن كان أولها يدل على عقيدته فى أدبه ويستشهد لها ضمناً بإبطاء أديبين فى اتفاقهما على جيد فى الديوان ينتقيانه ، كأن الجيد الذى يتفق على جودته قليل فى ذلك الديوان. سيقال طبعاً إن هذا ليس بحكم يعتد به على الديوان ، فلو كان الأديبان الناظران فيه من المدرسة الجديدة لأسرع إليهما الاتفاق على جيد كثير . حسن . ولسنا نريد بما قلنا حكماً على الديوان ولكن نريد حكماً على الروح التى نظر بها الرافعى وأخواه فيه ، وهى روح إنصاف ورغبة فى إنصاف من غير شك على نقيض الروح الذى نظر وينظر به سيد قطب ممثل المدرسة الحديثة فى أدب عميد المدرسة التى يلقبها بالقديمة ولا يعجبه من أدبها ولا من روحها شيء

نظر الرافعى وأخواه فى ديوان العقاد مساءات طووه بعدها، وأشار الرافعى على مخلوف فكتب ، وهاج به العقاد ساخراً منه ومن دار العلوم، ولام مخلوفاً إخوانه على تهييج العقاد بدار العلوم، وألقى العريان تبعة ذلك اللوم على الرافعى يريد تحريكه لنقد الديوان؛ وتحرك الرافعى للنقد بعد تردد، ولكنه بعد إذ عزم مضى لا يبالى بما كان للعقاد يومئذ من سلطان مكنه له الأدب السياسى لدى القراء ، ولا يعتبر إلا مذهبه فى الأدب وطريقته ، وسواء عنده أ كان رأيه هو رأى الجماعة أم لا يكون ما دام ماضياً على طريقته ونهجه كما يصف العريان

أى شيء فى هذا يا ترى مما يمكن أن يؤخذ على الرافعى من قريب أو من بعيد ؟ لا شيء ! لا شيء يمكن أن يراه الناقد إلا ناقداً ينظر فى أعمال الرافعى بمجهر البغضاء ثم لا يرى إلا ما يصوره الخيال . إنها حكاية واقعية غير عادية تصور الرافعى أستاذاً فى مدرسته يلقى على تلميذين وزميلين له درساً عملياً فى النقد وفى ما ينبغى للناقد من نزاهة فى الحكم ، وتحرز من الهوى عند الخصومة ، وشجاعة فى المنازلة إذا لم يكن من المنازلة بد، وتضحية فى سبيل الغاية ، واستمساك بما يعرف أنه الحق . أما ما ارتآه العريان من تحفز كان بالرافعى لعراك العقاد فالعبرة فيه بأن ذلك لم يسرع بالرافعى إلى تحيف العقاد وظلمه فى ديوانه أو هضمه .

وفى رأينا أن هذا مظهر لفارق أساسى آخر بين المدرستين : مدرسة الأدب الأخلاق، ومدرسة الأدب غير الأخلاق اللتين تتنازعان توجيه الأدب الآن ، وهو فارق نعرف أثره فى كتابة

المنتسبين إلى كل من المدرستين ، نعرفه فى نزوع شاكر والعريان إلى الانصاف حتى من أنفسهما وصاحبيهما ، وقد يغلوان فى ذلك أحياناً كما يشتد المدرس على ابنه التلميذ فى فصله مبالغة فى العدل بين طلبته ، ونعرفه في نزوع سيد قطب إلى التزيد والتحريف والاسراف

أما شاكر فانه أيضاً لم يسلم مما أصاب العريان من تحريف لقوله فى الرافعي . وقد مثل معه سيد قطب حكاية عمرو مع أبى موسى من جديد . لكن يكفينا الآن ما كتبنا فى تبيين القسم الأول من مغالطات قطب وتحريفاتها لننتقل إلى تحريفه أقوال الرافعى وهو أهم القسمين

إن آخر مثال ضربناه فى المقال الماضي لسوء فهم قطب هو فى الواقع أول مثال لتحريفه كلام الرافعى ليستقيم له وجه الاستهزاء به والزراية عليه . فقد ضرب الرافعى بنهر الكوثر يجرى بين شاطئين من ذهب على أرض من الدر والياقوت مثالا للشعر الخالد المطرد يقوله المحب فى حبيبته ، فجاء قطب وقال إن الرافعى لا يتشكك فى أن نهراً يجرى بين شاطئين من ذهب على الدر والياقوت « أجمل » من نهر يجرى بين شاطئين من العشب الأخضر على أرض من الرمل والطين . ومهما تكن نتيجة المفاضلة بين النهرين عند المدرسة الجديدة من ناحية الجمال ، فان نتيجة المفاضلة بينهما من ناحية الخلود والاطراد ليست موضع شك عند أحد . ولو أخذ قطب الكلام على ظاهره لم يكن فيه مغمز يغمز الرافعى به ، فلم يجد بأساً فى أن يضع الجمال بدلا من الخلود والاطراد فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . ولو غير مدرس للغة العربية فعل هذا لالتمسنا له العذر عن طريق جهله بمعانى الكلمات على وضوحها وبساطتها فى هذه الحالة ، لكن سيد قطب إخصائى فى اللغة العربية وأديب وشاعر فلا يمكن أن يلتمس له العذر من هذه الناحية ، ولم يبق إلا أن يكون تعمد التحريف فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . فاذا ما أصر على ما فعل ، وعدها على الرافعى غلطة بغلطات تكبر « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » فى مثل زائر القاهرة الذى ضربه ليخلص إلى أن الرافعى « لم يحس الاحساس بجمال « الطبيعة بل... لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال » — إذا أصر قطب على زلته إمعاناً فى تشويه الرافعى عند القراء كما فعل فى مقاله الحادى عشر

زاد ذلك فى شناعتها وسقط بها فى هاوية مالها من قرار

وإلى مثل هذا عمد قطب حين أراد أن يتكلم عن حب الرافعى ليثبت أنه لا يعرف ما الحب وأن ليس له قلب يقول الرافعى :

« نصيحتى لكل من أبغض من أحب ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذه الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فإنها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه » . وهى قطعة مقتبسة من كتاب « رسائل الأحزان » وهو تاريخ حب للرافعى انقلب إلى بغض كما بين ذلك سعيد العريان فى فصوله لمن لم يكن قرأ ذلك الكتاب، فالقطعة تدور كلها وتتوقف استقامة معناها على كلمة « أبغض » الواردة فى أولها . لكن سيد قطب لما لم يجد فيها كما هي موضعاً لتهكمه ولا دليلاً على مزاعمه عمد إليها فحرف معناها بأن أسقط منها ما يؤدى معنى البغض وراح يصيح : « أرأيت ؟ — إن الحبيبة ( بعد انقطاع الحب )[1] لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له وغيظه لها ! ولا شيء وراء ذلك ! » ثم طفق يعلق على ذلك ماشاء له الحنق والبغض، وانتهى به الأمر فى مقاله الحادى عشر إلى أن يقرر فى غرور وتوكيد وإصرار : « فحين يقول الرافعى إن الحبيبة لاتتعلق بقلب حبيبها ( بعد انتهاء الحب )[1] إلا بخيطين اثنين هما غيظها له وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب » . وتستطيع أن تتبين مبلغ إسرافه بهذا الكلام على الرافعى إذا وضعت فيه بدلا من « بعد انتهاء الحب » كلمات تؤدى معنى الرافعى مثل « بعد انقلاب الحب إلى بغض » . هنالك يتضح مبلغ جناية هذا الرجل على الرافعى وعلى الحقيقة وعلى النقد بذلك التغيير الطفيف الذى أدخله على كلام الرافعى جرياً فيما يظهر على قاعدة « الصدق الجميل » الذى يفرق عند هذا الناقد الجديد بين مدرسة الرافعى ومدرسة العقاد ...

بقى مثال واحد ثم نغلق هذا الباب . انتقد الرافعى بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن     كل موجود وموعود تؤام

(١) الأقواس من عندنا

بما انتقده به وأخذه على العقاد، وإن في لفظ شديد، أنه لم يحترس مما يدخل في عموم «كل موجود» مما لا يليق أن يكون في حبيبة محب ذي ذوق . وأراد قطب أن يسخف نقد الرافعي فزعم أن الرافعي قال إن «كل موجود هو البق والقمل والنمل ... الخ» ولو نسب إليه أنه قال : «إن من كل موجود كذا وكذا ... الخ» لكان كلاماً ظاهر الصدق ليس فيه موضع للتسخيف الذي يريده صاحبنا والذي لا يتأتى إلا إذا سقطت «من» الدالة على البعضية . فلم ير صاحبنا مانعاً من إسقاطها ! وهل هي إلا حرف ذو حرفين يتحقق باسقاطه شيء من تصحيح الأمزجة والنفوس؟

وقد رد أخونا محمود شاكر هذه الغلطة من سيد قطب إلى أنه لم يفهم الفرق بين «من» في كلام الرافعي و «من» في كلام العقاد . ووددنا لو أن الأمر كان كذلك فان عدم فهم الحرف أخف من تعمد إسقاطه ، لكن سيد قطب خريج دار العلوم وإخصائي في اللغة العربية يعلم منها تلاميذه كل يوم مثل هذا الذي يعتذر عنه محمود شاكر بأنه يجهله . فلم يبق إلا الاحتمال الآخر على ما فيه

تلك ثلاثة أمثلة حرف فيها صاحبنا كلام الرافعي تحريف الحاذق الماهر : تحريفاً طفيفاً من حيث اللفظ عميقاً من حيث المعنى ، ورتب على ذلك من النتائج الخطيرة ما لا ينتج من كلام الرافعي ، فهو قد تجنى على الرافعي مرتين : مرة بذمه ذماً بالغاً باطلا ، ومرة بتحريف كلامه لتبرير ذلك الذم . فصدق بذلك وبأغلاطه الأخرى ما نبهنا إليه من قبل من انزلاق مخاصم الحق وتورطه في أغلاط ومهاو ما كان لولا معاداته الحق ليتردى فيها وينتقم بذلك من نفسه للحق أبلغ انتقام

محمد أحمد الغمراوي



# الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(تتمة)

وقد روى لي سمو الأمير عبد الله الحادث التالي : عندما كان الملك الراحل الحسين شريفاً على مكة : كانت السلطة على البدو بيده برغم حكم الأتراك ؛ وفي يوم من الأيام بينما كان الشريف مع ولده الشريف عبد الله سائرين وقافلة في الصحراء أراد الشريف أن يسبق القافلة ليختار محلا لاقامة الخيام — فذهب معه ولده حتى وجدا محلا مناسبا تحت شجيرات، وكانت بجانبهم إبل ترعى بحماية ولد وأخته الصغيرة ، وكعادة العرب سأل الشريف الولد إلى أي قبيلة ينتمون، فأجاب الصبي من البقوم، فقال له الشريف «ألا تخاف أن ترعى على حدود بني عتيبة الذين قد يأخذون إبلكم» وكان الصبي منبطحا على ظهره يلوح بقدميه في الفضاء فأجاب «أيها الشيخ المجنون البارد، أنت لا تفهم» فأجاب الشريف: قد أكون مجنونا ولكني لم أعرف السبب بعد . فأجاب الولد قائلا «ألا تعلم أنه ما دام الحسين على السرج فنحن لا نخاف الغارات» وعند هذا الحد أقبلت القافلة فعرف الولد أن الذي كان يكلمه هو الشريف حسين ، فخاف كثيراً ولكن الملك الراحل طمأنه وسر من هذه الشهادة غير المقصودة . وبقي كل سنة يطلب الولد وأخته إلى مكة ويعيدهما إلى أهلهما مع النقود والملابس .

لقد قلت إن إحدى صفات البدوي القيام باعمال غريبة لأثارة الأعجاب — ومن ذلك عادة الجاهلية . يحدث أن يعتدى على شرف بدوي أو غير ذلك من الأمور التي تستلزم الترضية، يرفض البدوي الترضية التي يقدمها المعتدي ويصر على الأخذ بالثأر — وعندها يجتمع شيوخ القبيلة في شبه وفد يذهب إلى بيت المعتدى عليه، وبطبيعة الحال يقدم لهم طعاماً يرفضون تناوله قبل أن يعد باجابة سؤلهم فيعد بذلك

وبعد انتهاء الطعام يشرحون فوائد الصلح إلى آخر ذلك فيتنازل البدوى عن حقه كاملا . فاتهام العرب بالطمع والجشع أمر تنقضه الحقائق، والقصص التى رويتها لكم قمينة باعطائكم فكرة صحيحة عن العرب والبدوى من هذه الناحية . إن إلحاح البدوى فى طلب حقه غريب، ولكنك إذا ما التجأت إلى كرمه كقولك إعفنى يا أخا فلانة — فانه يتنازل عن دَينه . ولعلنا لم ننس قصة هيرودس[1] مع ابنة شالوم التى طلبت أمنية أجابها إليها قبل أن يعرف ما هى تلك الأمنية ، وقد كانت رأس يوحنا المعمدان وقد كان هيرودس فى شرق الأردن

## الخلاصة

ولكى نجمع ما سبق نقول بأن الفروسية هى نظام حياة البدوي اليومى وأهم مميزاته :

١ — تمجيد الحرب المبنى على أساس طلب العلى والقيام بأعمال البطولة لا بكسب المعركة والحرب

٢ — احترام يشوبه الغزل للمرأة المفروض فيها الأنوثة الكاملة والمتممة للرجل مع عدم مساواتها له . والنظر إليها كتسلية للرجل والحكم على أعماله

٣ — الكرم ومساعدة الضعيف لأن هذه الصفات فرصة للقيام بأعمال غريبة تثير الاعجاب وتقرب من الخيال

٤ — وكنتيجة لهذه الصفات نشأت عادة التنافس بين الفرسان حتى أدى ذلك إلى نزاع داخلى في القبيلة

٥ — عدم الاهتمام بالمجتمع لتطلبهم المجد الشخصى

٦ — الفقر الدائم مع احتقار حياة العمل الشاق والبخل

وبعكس هذا نجد أن الصفات المميزة للحضر هي :

١ — كره الحرب والدفاع بشدة إذا ما هوجم . همه الأول ربح المعركة دون الاهتمام بالطريقة ، شريفة كانت أو غير شريفة

٢ — تطبيق النظرية القائلة بعمل الكل لأجل المجتمع

٣ — عدم الاهتمام بالمرأة وتكليفها بالأعمال الشاقة والنظر إليها كمصنع للأولاد ووسيلة للربح . وقد ترتفع منزلتها عند الحضر فتصبح مساوية للرجل ولكن ليست المتممة له

٤ — نظرة الاعجاب إلى العمل الشاق المتواصل والعطاش الشديد إلى جمع الثروة . ولهذا أرى أن نبعد عن أذهاننا نحن الأوربيين المعنى الخيالى الغرامى الذى يصوره لنا خيالنا عن كلمة الفروسية ، لأن الفروسية هي النظام الخاص لحياة البداوة الذى يميزها عن حياة الحضر

## نظرية

إن كل بحث عن الشعوب القديمة يكون ناقصاً عملاً مدرسيا ما لم نحاول أن نربطه بحياتنا اليومية الحاضرة . لا مراء فى أن الحضارة الرومانية هى أولى الحضارات التى غزت أوربا وقد كانت حضارة زراعية ، وتتكون نظريتهم عن الحرب فى أن الفرد يجب أن يفنى فى سبيل المجموع وأن الحرب خدعة . وفى القرن السابع ظهر الفتح الاسلامي حاملا معه روح الفروسية — روح الشرق — الروح التى تثير الاعجاب وتهييج النفوس. فغزت هذه الروح جميع البلدان التى اتصل العرب بها ، وانتشرت بين سكانها . ولكن إذا نظرنا إلى الفاشستية اليوم نرى أنها احتفظت بالروح الرومانية القديمة بل تطرفت بها وهذه الروح تتنافى مع الروح العربية — روح الفروسية

غزا العرب اسبانيا وفرنسا حتى تور فانتشرت بالبلدين روح الفروسية ، ومن فرنسا تسربت هذه الروح إلى انكلترا ولكنها لم تتعداها — وقد يكون هذا هو السبب فى مقاومتنا لروح الدولة الكلية المتطرفة والتى هى عماد الدولة فى كل من روسيا وإيطاليا وألمانيا وهى البلدان التى لم تتصل بها ولم تنتشر فيها روح الفروسية. فان صح هذا ألا يكون مبدأ الحرية الفردية الذى نتمسك به وندافع عنه هو تراثنا من العرب ؟ بالرغم عن التطورات الحديثة واتباعنا نظرية أن الحرب خدعة — فاننا ما زلنا نحافظ على روح الفروسية فيما نسميه اليوم « الألعاب الرياضية »

إننا نخطئ خطأً فاحشاً إذا ما ظننا أن العرب كلهم بدو، فأكثر العرب اليوم مقبلون إقبالا عظيما على درس الحضارة

---

(١) إن هيرودس كان عربياً وليس يهودياً — بل كانت أمه يهودية « المعرب »

والمدنية الأوربية برغم نظام الفردية بينهم — وقد لا تمضي فترة قصيرة حتى تراهم يسيرون والأوربيين جنباً إلى جنب في ميدان الحضارة. إن تجاربي السياسية قليلة، ولكني قمت ببعض المهام الصغيرة مع الحكومة السعودية. ولقد كنت أظن أن التفاهم معهم صعب عسير ولكني سرعان ما غيرت هذا الظن إذ وجدت أنني أنا نفسي صرت أحسدهم. إذا صارحتهم — صارحوك. جرب دائماً أن تكون معاملاتك مع العرب مبنية على الشرف والأمانة. ويجب ألا يعزب عن بالنا أننا ورثنا عنهم النظرية التي تهمنا نحن الانكليز بنوع خاص وهي « إن لعب اللعبة أحسن من ربحها »

### أسئلة بعد المحاضرة

سير رونالد ستروس — هل يتغنى البدو بالشعر الرمزي؟ وهل هناك قصائد جديدة؟

المحاضر — البدو يجهلون الشعر الرمزي ولكن القصائد تتلى في كل خيمة؟

سير برسي كوكس — ما الذي يمكن الانسان عمله إذا أراد بدوي معدم أن يذبح شاة لإطعام ضيف؟

المحاضر — من الصعب معرفة ما يمكن عمله، ولكني أرى أنه يكون مضطراً إلى محاولة إقناعه بأن يتحول إلى فلاح (ضحك)

مستر رانكن — هل تجدون صعوبة في حفظ النظام مع الجنود الأغرار من البدو

المحاضر — ليت الوقت يسمح لي ببحث هذا السؤال. ولكني أقول إننا نجد صعوبات جمة في بادئ الأمر

والنظام مع البدوي يختلف طبعاً عما هو عليه مع الفلاح. لأن البدوي ديمقراطي بطبعه، فالضابط والجنود يأكلون من صحن واحد ويشربون القهوة معاً. والبدوي يفخر بانتمائه إلى القوة التي توافق هواه. وإرهابه بأخذ سلاحه أو بإخراجه من القوة يؤثر فيه أكثر من أي عقاب آخر. ولكن طلبهم المجد الشخصي يولد الحسد فيهم ويسبب بعض المتاعب

لورد ونترتون — أظن، سيداتي وسادتي، أنه لم يبق لي إلا أن أشكر المحاضر بلسان كل فرد منا على محاضرته القيمة النفيسة وأحب أن أقول إن نظريته حول الارتباط بين العرب والانكليز توافق نظريتي تماماً. إذ أنني أرى أن هنالك مكانين يمكن الانسان أن يعيش بهما سعيداً وهما البادية وهذه البلاد. ولكن للأسف يوجد فرق واحد: أن البدوي إذا هوجم يستطيع التقهقر إلى صحرائه حيث لا مطمع لأحد هناك، ولكننا إذا هوجمنا فقد يحتل العدو بلادنا. وفي هذا درس علينا أن نحفظه. هذه نظرية قد تشرح قول بعض الأوربيين عنا: إننا مجانين. ولماذا وكيف نصادق كثيراً من الشعوب الآسيوية

المترجم

**جميل قبعين**

# أنشـــودة

« ليتها تعيها إلى الربيع المقبل ! »

للأستاذ صالح جودت

كان ميعادُكِ فى هذا الربيعْ    ثم أخلفتِ ، فكان الموتُ لى
ضاع عمرى في غرام لن يضيعْ    فاذكريه فى الربيع المقبلِ

***

الربيعُ الآنَ؟ مالى لا أرى    بعدإخلافكِ ، ما كنتُ أراهْ؟
هاهو الرّوضُ ، أراه مُقْفِرا    ما به من رَونق ... إلا ثراهْ !
هاهى الدّوحاتُ صفراءالذّرَى    تتلوّى بين أغصانٍ عُراهْ
ها هو الينبوعُ .. لـكن.. ماجرى ؟
خبرينى ياغرامى ، مااعـتراه ؟
أهُو اليومَ كما نعهـدهُ ؟    ربما كان لغيرى ينجلى
أنا مَنْ قد فاته موعدُهُ    فاذكريه فى الربيع المقبل

***

كانت الزرقةُ ثوباً للسماءْ    كانت الخضرةُ ثوباً للأديمْ
كان في الروض أزاهيرٌ وماءْ    كان فى الدّوح رجيعٌ ونسيمْ
كان فى الدنيا غرامٌ ووفاءْ    كان فى قلبكِ لى حُبٌّ مقيمْ
كل هـذا شِمتُهُ قبل المساءْ    كل هـذا ذقتُهُ قبل الجحيمْ
أهُوَ باقٍ مثلما كان لنا    فى لذاذات اللقاء الأول ؟
إن يكن ما مات ، فالميْتُ أنا    فاذكرينى فى الربيع المقبل

# إلى «القصر» الغاشم ...!

« نفثة جريحة اهتز بها قلبى حيال قصر الملهمة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَوْ كُنتَ تَسمَعُ صَرْخَتى وشَكاتى
يا «قَصْرُ» ! ما قيّدْتَ سِحْرَ حياتى..
حَجَّبْتَها عذْراءَ كادَ غرامُها    يُذْكِى سَعيرَ الحبِّ فى الغُرُفاتِ
وَلَو انّها مَلَكَتْ جَناح حمامَةٍ    طارَتْ لعابدِها من الشُّرُفاتِ!
لَمحَتْهُ مِنْ خَلَل السُّتور مُشرَّداً    حيْرانَ مُرْتجفاً على الطرُقاتِ
فى جَفْنِه صَخَبٌ ! وفى أنفاسِهِ    لَهَبٌ! وسِرُّ الموْتِ فى النّظَرات!
وعَلَى الشِّفاهِ قَصيدَةٌ غَزَلِيَّةٌ    مَخْنُوقَةُ الأَلحانِ والنّبَراتِ
صَرَخَتْ تُذيعُ غَرامَهُ ... فأَذابَها
هَوْلُ الأسَى فى جاحِمِ الزّفَراتِ
يَبْكى ويَضْرِبُ فى الفضاءِ مُضَيَّعاً
كالتّائهِ المأْخوذِ فى الفَلَواتِ ...
قَلْبٌ عَلى عَتَباتِكَ انْتَحرتْ به    أحْلامُهُ يَوْمَ الفِراقِ العاتى
وأتاكَ مُنْتَفِضَ الحنين ، كأنّهُ    ذِكْرَى مُجَرَّحَةٌ تعودُ«فتاتي»
يا «قَصْرُ» أبْلِغهُ الضِّفافَ ... فعِنْدَها
أمَلى ، وصَفْوُ مَزاهرِى ، وَحَياتى !

# الدمية الحسـناء !

للأستاذ أحمد فتحى

فيكَ من رَوْعَة الجمال نَصِيبٌ    شاهـدٌ أن للدُّمَى إغراء !
وقديماً أضـلَّ قومٌ من الخلْـ    ـقِ ، فضـلّوا ضلالةً عمياءَ !
عبدوا الوَهْمَ والأساطيرَ حتى    قدَّسُوها حجارةً صَمّاء !
وإذا شـاءتِ المقاديرُ تلهُو    سَخّرَتْ للجهالة الفَهْماءَ !
لستُ أنسَى يوم التقَينا وكانت    صفحةُ الرّوضِ، فتنةً تتراءى
الأزاهيرُ رائحاتٌ غوادٍ    تتثنّى مع الصَّبا كيف شاء
والأمانىُّ باسماتٌ لِعَينى    يتضاحَكْنَ غِبطةً وصفاءً !
والأغاريدُ هاتفاتٌ على الدَّوْ    حِ نشيداً يُداعبُ الأفياء
ولقـد كنتَ فى الخميلة تمثا    لاً من الحُسنِ رائعاً وضّاءً
لاح لي من لحاظِ عينَيْكَ سحرٌ    بابليٌّ ، يستضعفُ الأقوياءَ
ودعانى هواكَ فانطَلَقَ القلـ    ـبُ على وجهه يلبّى النداء

فرّ من بين أضلعي ينشدُ الحُبْـ … ـبَ ، كما ينشدُ الظِّماءُ رَوَاء
وأتاكَ المسكينُ حالاً من اللوْ … عةِ تشكو فصيحةً خرساءَ !
ظنّ في صمتكَ الرّضى عن غرامٍ … كان فيه ، غوايةً شنعاء
عادَ لي ضاحكاً ، قريراً يغنّي … يملأ الأرضَ شَدْوُهُ والسّماء
فتوهّمتُ أنه رُزِقَ الخيْـ … ـرَ ، وأضحى يُساجِلُ السُّعداء
ثم بارَكْتُهُ غراماً عزيزاً … قد كفاني الهمومَ والبُرَحاء
ماسلا القلبُ عنك إذ جدّ بيْنٌ … صيّرَ الصُّبحَ وحشةً ظلماء
شفّني الوَجْدُ والنحولُ وكابَدْ … تُ غرامي داءً دَوِيًّا عَياء
وعفا الصبرُ عن لِقائكَ حتى … علّمَ العينَ أن تذوبَ بُكاء
سلكَ الدّمعُ من ماقيّ سُبْلاً … كُنّ من مَسْلكِ الدُّموعِ خلاء
زهدتْ نفسي الصواحبَ طُرًّا … ومللتُ الحياةَ والأحياء !
وتمنّيْتُ لو لقيتُكَ يوماً … وافتقدتُ المعاشرَ الخُلَصاء
علِمَ اللهُ كم سَهِدْتُ الليالي … أتشهّى الرُّقادَ والإغفاء
يقظاً للخيالِ ؛ إن طرقَ الطّيْـ … ـفُ رآني بقيّةً وذَماء !
ولقد طالما تعلّلتُ بالقرْ … ب ، فكانت عُلالةً حمقاء
كيف أنساكَ يومَ قيلَ مُوافٍ … يحملُ البُرْءَ قُرْبُهُ والشِّفاء ؟!
قلتُ للنفسِ ها نُعمى بعد بؤسى … جرّعتْكِ النّوى صباحَ مساء
والتقينا أشكو الذي صنعَ الشّوْ … قُ بقلبٍ تنفّسَ الصُّعداء
وترامتْ على يديكَ دُموعي.. … قطراتٍ كبيرةً حمراء !
وتوسّلتُ أن تُنهْنِهَ منها … فإذا أنتَ لا تجيبُ الرّجاء !
فتهاوتْ مع المدامعِ آما … لٌ تُسامي صُروحُها الجوزاء !
وتناثرْنَ ، في الأعاصيرِ نقْعاً … حملتْهُ ، قويّةً ، هوجاء !!
عاتبتْ نفسيَ الحزينةُ قلبي … في هواكَ الذي أضرّ وساء
هتفتْ ، أيها المعذّبُ بالخفْـ … ـقِ ، تجشّمْ هزيمةً نكراء
قد حملتَ الغرامَ زيفاً من الوهْـ … ـمِ أضاعَ الشبابَ عُمراً هباء
خدعتْكَ المنى اللّعوبُ ، وكانت … قصةُ الحبِّ ، كِذْبةً بيضاء
شغفتْكَ الحياةُ بالحُسْنِ ، حُبًّا … فتعشّقتَ دُميةً حسناء !!

# فرحة

للأديب محمد قطب

أحلى الأماني والمراح مراحُ حُب
قد فاض قلبي بالسعادة بعد جدب
وطفرت كالمرح اللعوبِ وأي لِعْب !
عاد الشبابُ إليّ بعد طويل شيب !
يا حب ليس سواك فكّ عِقال قلبي
أطلقتني حراً أشارف كل صوب
لا مَنْ يعوق خطاي عن جَرْي ووثب
هي ذي معي ، وأنا أبوح بسر حُبي
ما أجمل الحب السعيد وأنتِ قربي
وجمال همس كالطيور أوانَ أوْب
همس الحياة تحيطني من كل جنب
وتحيطني وتحيط بالإعجاب حِبي
فرحانة هي[1] بالغرام يضيءُ قلبي
إني أحبك يا سعاد وأي حب !
حب تسامى فوق كل هوى محب
حب يرفرف كالحنان المستحَب
حب فريد لن تريه بغير قلبي
إني أتيه على الغرام « بنوع » حبي !
وأنا سعيد أن أحب وأن تحبي
ستَرين إعجابي بمن أهوى وعجبي
وسترشفين خلاصة من كل ذوب
ذوب الغرام وذوب تفكيري وقلبي
ذوب الحياة ممحضاً من كل شوب
ذوب السعادة خالصاً من كل ريب
أعطيكِ ما قد شئت عذباً أي عذب

(١) أي الحياة




## باريس ، أحمد حافظ عوض ، أبو تمام

الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك اليوم فى باريس . وهو يبعث منها برسائل أحمدية : ذات بساط أحمدى ... وقد أخبر فى الأولى التى عنوانها (ما بال باريس اليوم ليست باريس ؟) أنه يم حاضرة الفرنسيس من قبل وهو فى الثلاثين ويجىء إليها اليوم أخا ستين — أخو ستين يا أبا الحفّاظ ، الله أدرى بالحقيقة — وأنه ما رآها وهو شيخ كما آنسها فى الشباب فى شبابه :

لا يبعدنْ عصرُ الشبا ... ب الناعم الغض الرطيب(١) !
كان الشباب حبيبنا ... كيف السبيل إلى الحبيب !؟

ومما سطره : « فماذا جرى يا ترى ، أترى باريس تغيرتْ كما تغيرت ، أم كبرتْ كما كبرت؟» ثم أفاض الأستاذ فى المقال ثم قال فى آخره : « فباريس ليست باريس لأنك أنت لست أنت » ولو تذكر صاحب (الكوكب) بعد هذا الكلام (حبيباً) لأغطاه هذه الأبيات العبقريات فجاءت فى الختام من آيات التمثيل الباهرات . وهأنذا أرسل بها إليه فى (الرسالة) لينشدها الأستاذ فى كل صبح ومساء ، ما أقام فى باريس :

لا أنتَ أنتَ ، ولا الديار ديارُ ... خفّ الهوى، وتولت الأوطار!
كانت مجاورة (الربوع) وأهلها ... زمناً عذاب الورد، فهى بحار!
أيامَ تدمى عينَــه تلك الدُّمى ... فيها، وتقمر لُبه الأقمار! (١)
إذ لا (صدوف) ولا (كَنودُ) اسماها ... كالمعنيين ، ولا (نَوارُ) نوارُ! (٢)
بيض فهن إذا رُمقن سوافراً ... صور، وهن إذا رَمقن صُوار! (٣)
فى حيث يُمتهن الحديثُ لذي الصِّبا ... وتحصّن الأسرار والأسرار! (٤)

وصدر هذا البيت ، فحواه أن هناك (اللقاء والحديث) فقط والشطر الثانى ظاهر ، وأنا ما ذهبت إلى باريس فلست أعرف حالها ، فهل يصدق (المعجز) فيها ؟ العلم عند الأحمدين العارفين: أحمد شوقى ، أحمد حافظ عوض ، أحمد حسن الزيات ، العلم عند العارفين ...

(القارئ)

---

(١) أبو قطينة القرشى ، والبيتان فى حماسة البحترى ، ولمنصور النمرى:

ما كنت أوفى شبابى كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

يحكي أن الرشيد لما سمع هــذا البيت بكى وقال : يا نمرى ، ما خير دنيا لا يخطر فيها برد الشباب ؟!

(١) فى (الأساس) : قمرته لبه وقلبه . قال عمر بن أبى ربيعة :

قمــرته فؤاده أخت رئم ... ذات دل خــريدة معطار

(٢) أى لم تكن فى ذاك الوقت الآنسة صدوف تصدف عنك (أي تعرض ، وامرأة صدوف : تصد عن الزينة كما فى الأساس) ولا الآنسة كنود تكندك (أى تقطعك أو كنود كفور بالنعمة ، أو كنود كفور للمودة كما فى اللسان) ولا الآنسة نوار تنور (أى تنفر ونارت المرأة من الريبة نورا ونوار بالكسر ، وهى نوار ، وهن نور كما فى الأساس)

(٣) الصوار الجماعة المعروفة المشهورة بالعيون النجل الجميلة ، والصوار النافجة : وعاء المسك قال :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى ... وأذكرها إذا نفخ الصوار

(٤) الأسرار الثانية جمع السر ، ورجل سرى يصنع الأشياء سراً . والأسرار الأولى جمع السر وهو معروف . وفى (الأساس) : قالت :

لا يعــدن إلى سرى يدا ... وإلى ما شاء منى فليمد

---

أعطيكِ حتى ترتوى حتى تعبّى
أعطيكِ . لست بآخذ أبداً . وحبى !
إلا الجمــال فإنه هو وحى قلبى
هاتيــه كيف أردت من دل وعجب
إنى رضيت بما سآخذ دون غصب !
أفأنت راضية وحظك سوف يُربى ؟

## تكريم الدكتور زكي مبارك

أقام الفنان الأديب الأستاذ مدحت عاصم وكيل محطة الاذاعة المصرية شاياً موسيقياً للترحيب بمقدم الدكتور زكي مبارك من العراق دعا إليه نخبة من رجال الأدب والعلم والتعليم والصحافة وعلى رأسهم الأستاذ الجليل محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف

وقد انتثر المدعوون في جوانب حديقة الدار يستمعون إلى نغمات الموسيقى ، ثم انتقلوا إلى موائد الشاي فتناولوا الحلوى والرطبات ، ثم وقف الأستاذ مدحت عاصم وألقى كلمة حيا بها الدكتور مبارك وشكر فيها المدعوين على تلبيتهم الدعوة ، وقال إنه ليس بعجيب أن يكرم الفنان أديباً ، فالفن والأدب توأمان لا ينفصلان ، والدكتور زكي مبارك أديب يقوم أسلوبه على قواعد موسيقية ...

وبعد ذلك وقف صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوي بك فارتجل كلمة رقيقة داعب فيها المحتفل به . وقال إنه لا يتكلم الآن باسم الوزير ، ولا باسم الوزارة . ولكنه يتكلم معبراً عن رأيه الشخصي . واستطرد فقال :

أعرف الدكتور مبارك رجلاً مشاغباً ! وكنت قرأت له حملات على الأدباء والشعراء ، فأرى فيه معولا يحتاج إليه البلد في هدم القديم على أن ينشىء مكانه جديداً نافعاً

ولما عرضت فكرة إيفاد معلمين إلى العراق قلت إنها فرصة طيبة للتخلص من شغب الدكتور زكي !

لم يكن الدكتور زكي مبارك قبل سفره ، قد عمل شيئاً في وزارة المعارف ، فلما سافر إلى العراق عمل هناك أشياء كثيرة . وخلال زيارتي للعراق تحدثت إلى وزير معارفه عن عيوب الدكتور زكي مبارك فقال الوزير — وهو من رجال الأدب المعدودين — إننا راضون بالدكتور على عيبه ! . . .

ثم وقف الدكتور مبارك فألقى كلمة بليغة سننشرها في العدد القادم

## وفاة الأستاذ نللينو

نعت أخبار روما أستاذنا الجليل الدكتور نللينو الأستاذ بالجامعة المصرية والعضو في مجمع اللغة العربية، وإمام المستشرقين في تاريخ الآداب العربية وأصول اللغة الحميرية وأسرار الحضارة الاسلامية . اتصلت أسبابه بمصر زهاء ثلاثين سنة منذ اختاره المغفور له الملك فؤاد لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية القديمة يوم كان رئيسها وهو أمير فألقى الأستاذ بها أربعين محاضرة في الأصول المقررة في الأدب والنقد عند العرب فكانت الأساس الوطيد والمنهج السديد لدراسة الأدب العربي في مصر . ثم انقطع ما بينه وبين مصر حينا من الدهر حتى انتدب مرة ثانية للتدريس في الجامعة المصرية الجديدة وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية الملكي ففـذى الجامعة والمجمع بأبحاثه القيمة وآرائه السديدة وخبرته الطويلة. وقد بلغ من حبه للغة العرب أن حبب إلى ابنته دراسة الآداب العربية ، فهي اليوم من الفتيات الايطاليات اللاتي يعرفن الشرق العربي معرفة صحيحة ويكتبن عن أدبه كتابة المطلع الفاهم ؛ وقد أعانها على ذلك أنها زارت مصر معه مرارا ، فلا جرم أن فقد الدكتور نللينو خسارة للأدب العربي وللاستشراق لا يسهل العوض منها ، فان الرغبة في دراسة الشرق القديم قد ضعفت في نفوس الأوربيين بعد أن استبانت معالم الشرق واتضحت السبل إلى استعماره

## كتاب رسالة المنبر

تفضل صديقنا الأستاذ فليكس فارس فأهدى إلى مشتركي الرسالة مائة نسخة من كتابه رسالة المنبر . ومتى تسلمتها إدارة الرسالة فسترسلها إلى من يطلبها على شرط أن يكون من مشتركي الرسالة وأن يرسل أربعة قروش نفقة الارسال

## تنظيم دار العلوم

أصدر صاحب المعالي وزير المعارف قراراً باعتماد اللائحة الجديدة لتنظيم « دار العلوم » على منوال يكفل لها استقلالا شبيهاً بالاستقلال المكفول لكليات الجامعة ، ويجعل الدراسة فيها تجري طبقاً للمبادئ الجامعية من حيث المحاضرات والبحوث

وتقضي هذه اللائحة بانشاء قسم إعدادي مدة الدراسة فيه سنتان . ويلتحق به الطلبة الذين أتموا دراسة السنة الثالثة للمعاهد الدينية الثانوية على أن يكون ذلك بامتحان مسابقة بين المتقدمين مع اختبارهم شخصياً

وسيلحق هؤلاء الطلبة بالقسم الداخلي لتهيئة جو صالح لتكوينهم وسيدرسون إلى جانب العلوم العربية والشرعية طائفة من مواد الثقافة المدنية وهي الرياضة ، وعلم الأحياء والعلوم ، وإحدى

اللغات الأجنبية، والتاريخ، والجغرافيا . فاذا انتهت مدة السنتين انتقلوا إلى «دار العلوم» فيقضون فيها خمس سنوات بدلا من أربع على أن تخصص السنة الخامسة لدراسة علوم التربية ومايتصل بها

وقد نظمت هيئة التدريس على مثال هيئة التدريس بالجامعة تماماً وقضت اللائحة بانشاء مجلس أساتذة له ما لمجالس الجامعة المصرية من اختصاصات

وكذلك أنشئ مجلس أعلى برياسة وكيل وزارة المعارف، وعضوية وكيل الوزارة المساعد، وأقدم مراقبي التعليم العام، وأحد أساتذة الأدب العربي بالجامعة، وعضو من أعضاء المجمع الملكي للغة العربية، وأستاذين من دار العلوم، واثنين من خارج الوزارة والجامعة من المشتغلين بالأدب العربي، وقد منح هذا المجلس اختصاصات مماثلة لاختصاصات مجلس الجامعة، وتعرض قراراته على وزير المعارف مباشرة، وقد أطلق على ناظر الدار اسم «عميد دار العلوم» وأطلق على دبلومها اسم «اجازة دار العلوم» وستتخذ الوزارة الاجراءات لاذاعة نص اللائحة الجديدة وسيعمل بها ابتداء من العام الدراسي الجديد

## كتاب حياة الرافعي

جاء في جريدة الأخبار البغدادية هذه الكلمة: جاءنا بتوقيع «أديب» ما يلي:

نظراً إلى أن الكثيرين من العراقيين يرغبون في اقتناء كتاب الرافعي تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان، ولما كان ثمنه قبل الطبع مائة فلس في مصر فارجاء إلى الأستاذ صاحب مجلة (الرسالة) الغراء أن يوعز إلى وكيل المجلة ببغداد بقبول الاشتراك في هذا الكتاب بزيادة عشرين فلساً أجرة البريد، وحبذا لو أجابت الرسالة الغراء هذا الطلب

(الرسالة) : والرسالة تجيب عن رجاء الأديب بأن الاشتراك المخفض في هذا الكتاب يقبل من جميع أقطار العربية ولا يزيد على الاشتراك بمصر إلا أجرة البريد.




# معلومات مدنيـــة

تأليف الأستاذ محمود العابدى

للسيد عبد اللطيف الصالح

مؤلف هذا الكتاب ناظر لإحدى المدارس الحكومية بفلسطين قد اتجه فى دراساته الخاصة نحو التاريخ العام فغدا مؤرخاً معروفاً فى فلسطين يقدم للنشء والمكتبة العربية ثمار بحوثه وغرس ثقافته، والأستاذ العابدي بمؤلفه « معلومات مدنية » أسدى لا للنشء فحسب بل للمعلم أيضاً خدمة جليلة، وقد قسم مؤلفه إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول لتاريخ المجتمع الانسانى وتنظيماته من العصور الحجرية إلى نشوء نظام السوفيت فى روسيا ويدخل فيه تنظيمات اليونان والرومان والعرب والقرون الوسطى والحكومات الأوروبية الحديثة. كل ذلك بتفصيل كاف عن حركة العمال فى العالم

والقسم الثانى منه جعله الأستاذ العابدي للمقابلة بين الحكومات فى انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا والمستعمرات وجمعية الأمم ودوائرها، وألم بهذه المواضع إلماماً مناسباً بحيث يخرج القارئ من هذه الموضوعات ولديه فكرة تاريخية واضحة عن الاصطلاحات السياسية، فقد وفى ذلك. قال المؤلف فى مقدمة الكتاب « وفى كل يوم ترد الصحافة تعابير وكلمات كاجنة الانتدابات الدائمة، ومجلس عصبة الأمم والحماية والانتداب وتقرير المصير والدستور والنقابات والسوفيت والبرلمان وحكومة الاتحاد والسكرتير العام والنائب العام، لا يعرف حقيقتها معرفة متوسطة. ومن النقص على شعب يعد نفسه للتقدم والنهوض أن تجهل أكثريته مثل هذه المعلومات الأساسية، وهذا أول دافع دفعنى لوضع هذا الكتاب » وفى هذا القسم بحث مستفيض عن أهم إدارات الحكومة النافعة للشعب كالتعليم والصحة والبوليس وواجبات الفرد وحقوقه

والقسم الثالث من هذا الكتاب جعله الأستاذ العابدى لحكومة فلسطين فهو ضرورى لكل فلسطينى يريد أن يعرف كيف تدار بلاده، بل إن الاطلاع عليه ضرورة لكل عربى يؤمن بفكرة العروبة ولكل مسلم تهمه شئون الاسلام حتى يقف على حالة هذه البلاد التعسة التى هى الآن فى فورة دموية قد تجاهل صوتها قادة الرأى فى الأقطار الاسلامية، واكتفى بعضهم بقوله: « إنا نعطف على عرب فلسطين ونتمنى لهم الخير » كأن مثل هذه الجملة كافية لردع الانجليز عن هذه المذابح التى تفرق فيها بلاد هى مهبط الوحى الأمين ومهد الرسالة الربانية. ثم تناول المؤلف فى هذا القسم حكومة فلسطين بحيث يخرج منه القارئ وعنده فكرة صادقة عن كيفية الادارة فى هذا الشعب المدافع.

ولقد ظهر لي أثر مجلة « الرسالة » الغراء واضحاً فى هذا الكتاب فأستطيع أن أعده من ثمار غرس هذه المجلة العربية التى عم تناولها أبناء العروبة وانتشرت بين أبناء الضاد انتشاراً لا يدانيها فى ذلك مجلة أخرى، ولقد أحسن المؤلف فى اقتباسه عن أساتذة هم أعلام ثقافات وعلوم كالأساتذة أحمد أمين، وحافظ عفيفى باشا وساطع الحصري وأحمد سالم الخالدى وغيرهم، حتى جاء مؤلفه عصارة مركزة لأبحاثهم المتعلقة بموضوع كتابه

والذى يطالع كتاب « معلومات مدنية » يرى أنه يغلب على أسلوب الأستاذ العابدى الدقة فى التعبير مع وضوح وابانة للغرض الذى يريده، وقد يقرأ القارئ فيه صفحة واحدة فيخرج منها بعلم قد لا تستوعبه صفحات كبيرة، وهذا آت من تمكن الأستاذ العابدى من مادة التاريخ ومن سعة اطلاعه في نواحيها المختلفة.

ولا شك أن اتجاه المؤلف نحو الناحية التاريخية فى دراساته كان له أثر كبير فى قيمة هذا المؤلف فهو دائرة معارف نافعة تغنى به المكتبة العربية كما تغنى بغيره من مؤلفات عربية ثقافية أو اجتماعية

عبد اللطيف الصالح

# مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولمز رتشر

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

نشرت جامعة بيروت الأميركية هذا الكتاب القيم لمؤلفه الدكتور ولترهولمز رتشر أستاذ العلوم السياسية فى تلك الجامعة ولاشك أن هذا الكتاب مما يهم العالم العربى الاطلاع عليه، لأنه يبسط قضية سياسية هى قضية العالم العربى بأسره، فقد تكلم فيه مؤلفه الفاضل عن مقاييس الكفاءة للاستقلال فى العراق وفى جزر الفليبين وفى الهند، ثم تكلم عن مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة، ومقاييس الدخول فى عصبة الأمم، ثم ختم البحث بخاتمة حافلة بالاستنتاجات والمقارنات، جمع فيها أطراف الموضوع جمعاً يحصره في ذهن القارئ، ويقربه من نفسه وإدراكه

ولقد قدم المؤلف كتابه بمقدمة ضافية، أشار فيها إلى مقاييس الكفاءة للاستقلال كما كانت معتبرة فى الماضى، ثم تكلم عن المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم فقال بأنها لم تشر بتاتاً إلى المقاييس أو إلى الطرق التى يمكن أن تقدر بها كفاءة الأمم للاستقلال بشؤونها ثم خاص من ذلك إلى توضيح النهج الذى انتهجه

ولقد جرى المؤلف فى حدود المعالم التى رسمها لنفسه فأجاد وأفاد، وأحسن كثيراً فى اختيار الأدلة التاريخية المتعلقة بالمقاييس الضرورية لاثبات الكفاءة للاستقلال، كما أحسن فى اقتباس الشواهد من التقريرات التى وضعتها اللجان التى قامت بعد الحرب للبحث فى حالة الامم التى هى تحت الانتداب أو التى تطمع فى الانتظام فى عصبة الأمم.

أما المقاييس التى لاقت القبول العام، والتى يمكن اعتبارها مقاييس صحيحة لكفاءة الاستقلال في نظر المؤلف فهى ترجع أولاً إلى وجود حكومة مستقرة يبرهن على استقرارها بمقدرتها على تسيير الشؤون الجوهرية فى الحكومة بصورة منظمة، وأن تكون قادرة على المحافظة على سلامة أراضيها وعلى الأمن العام فى البلاد كلها، وأن تكون لديها موارد مالية تسد حاجاتها الاعتيادية، كما يجب أن تكون لها القوانين والأنظمة القضائية التى تضمن العدل المطرد للجميع، ثم لا بد من رأى عام متحد يؤيد طلب الاستقلال.

ثانيا النية الصريحة على إتمام المسؤوليات والواجبات التى تفرضها العضوية فى عصبة الأمم، وهذه الواجبات تشمل صيانة الأقليات العنصرية واللغوية والدينية، وحماية مصالح الأجانب القضائية والمدنية والجنائية، ومنح حرية الضمير والعبادة وممارسة الأعمال ضمن نطاق المحافظة على الأمن العام والاخلاق والادارة ثم القيام بالعهود المالية المقطوعة باسمها ولنفعها بواسطة الدولة المنتدبة سابقاً واحترام كل نوع من الحقوق المكتسبة شرعياً فى ظل الانتداب

هذه هى المقاييس التى ارتضاها المؤلف والتى يجدها القارئ فى كتابه مشروحة شرحاً وافياً في أسلوب سهل مرسل قد يقع فيه بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، ولكنها لا تنقص من قيمة الكتاب.

محمد فهمى عبد اللطيف

6 me Année, No. 266

Lundi - 8 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

# بقيـــة المذهب

## للأستاذ عباس محمود العقاد

في مقالي السابق «قنطار ثمين» قلت رأيي في الجسم الجميل وهو « الجسم الذي لا فضول فيه ، والجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه ، غير محمول على سواه »

ومن الواجب في هذا المقال أن أذكر أن الجسم الجميل غير الجسم اللذيذ وغير الجسم الصحيح وغير الجسم القوي وغير الجسم النافع ، لأن الجسم قد يكون نافعاً أو قوياً أو صحيحاً أو لذيذاً ، وهو في كل ذلك غير جميل

قيل لبعض الحكماء : إن فلانة كبيرة البطن ضخمة الثدي فقال : « نعم ، حتى تدفئ الضجيع وتروي الرضيع » . . . فهذا وصف صادق للجسم النافع ولكنه لا يستلزم جمال الجسم الموصوف ، كما يقال إن هذا الكساء يدفيء صاحبه و « يعيش » سنوات ولا يستلزم ذلك جماله فيما يكون به جمال الكساء

نعم ويجب أن نذكر للذين يخرجون من « درس الألفية » ليفصلوا في مذاهب الجمال أن المرجع في هذه الآراء لن يكون إلى أعرابي قضى حياته في بادية جرداء وفي جاهلية عمياء ، وإنما

# الفهـرس

يكون إلى أناس سلمت لهم محاسن الأذواق ودرسوا فلسفة الجمال وأصلحوا مثات من الأجسام الجميلة وفاقا لعلم الصحة وفن الرياضة البدنية وأساليب التحسين والتقويم المتخذة فى معاهد التطرية والتنسيق ، واستعانة بأصول التشريح وأصول التلوين والتظليل ، وتجارب التاريخ التى عرضت عليهم صنوفاً من الشمائل الانسانية فى كل أمة خلقها الله

***

لقد وصف بعض الأعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك ، وافتتن أميرهم بعذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الغيلان :

وظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله !

فإن كان هذا وأشباهه وصفاً لشىء فهو وصف للجسم الشهى أو الجسم اللذيذ ، وليس بوصف للجسم الجميل على اعتبار الجمال معنى من المعانى التى تقاس بالادراك ، كما يقاس معنى البيت البليغ ، ومعنى الصورة البارعة ، ومعنى التمثال المتقن ، ومعنى الخيال المجرد ، ومعنى الحلم البعيد

والرجال فى تفضيل الجسم الشهى أو الجسم اللذيذ مذهبان مختلفان :

رجل عنده عادة الاستحسان كعادة التدخين ، فهو يألف طرازاً واحداً من « المرأة » كما يألف المدخن لفيفته المعهودة ، فلا يغيرها ولو كان الخلاف بينها وبين غيرها كالخلاف بين علامة « الجمل » فى التبغ الأمريكى وعلامة « الخلطة السعيدة » وهما من أصل واحد

هذا الرجل إذا استحسن المرأة الطويلة لم تعجبه القصيرة ولو كانت لها ملاحة ونضارة ومتعة وحلاوة

وإذا استحسن السمراء لم تعجبه البيضاء ، أو استحسن بنت العشرين لم تعجبه بنت الثلاثين ، أو استحسن المصرية لم تعجبه الانجليزية أو الروسية ، وهما معجبتان

هذا مذهب

والمذهب الآخر مذهب رجل يستحسن النساء كما يستحسن الفاكهة ، أو كما يستحسن صحاف الطعام ، والمعول على صناعة الطاهى وغواية الأوان !

فالتفاح مقبول ، والبرقوق كذلك مقبول ، والتين لا يرفض ، والجميز لا يعاف ، والشواء مستطاب ، والسمك المملح له وقت يجوز اشتهاؤه فيه

ومن المعقول أن يشتهى أعرابى من الأعراب امرأة سمينة موفورة الشحم واللحم قليلة الحركة نؤوم الضحى كما يقولون ، فإنما عاش الأعراب فى صحراء يسوّمون فيها الناقة بمقدار ما عليها من لحوم وشحوم ، ويكبرون فيها الأغنياء بمقدار ما يأكلون من سمن ولبن ودهون ، ويقال فيها إن فلاناً يملأ جوف امرأته بما يسمنها ويقعدها عن الحركة فيحسبون ذلك غاية العزة والفخار ، وذروة النعمة واليسار

أما نحن فى عصرنا هذا الذى تتحرك فيه المرأة لتلعب فى ميدان الكرة والصولجان إن لم تتحرك لتخدم نفسها وذويها فى بيتها ، والذى تعددت فيه مظاهر الغنى فلا يحسب فيه امتلاء الجوف بالطعام عنوان وفر وثراء ، ولا تحسب فيه الناقة ولا ألبانها « وحدة المعاملة » فى الأسواق . . .

أما نحن فى هذا العصر فما حاجتنا إلى اقتداء بذلك الأعرابى فيما استملح واستطاب ، ومالنا ولغيلانه وعذاراه ، أصلحه الله وأشبعه ورواه !

وما بالنا نقتدى به ولا نقتدى بإخوانه الذين عرفوا ملاحة الهيف والرشاقة وتجملوا تارة بجمال الفطرة ، وتارة أخرى بجمال الحضارة ؟

أذكر أننى نظمت قصيدة فى شتاء أسوان يوم كانت تزدحم بالوافدين والوافدات من آفاق المغرب والمشرق ، فشببت فيها بالعين الزرقاء والشعر الأصفر والوجه الأزهر . . . فعابها ناقدون يقرأون الألفية ويحكمون على الآداب والفنون ومذاهب الجمال ، وقالوا : يارعاك الله ! متى كان الشعر الأصفر مما يستملح فى القصائد العربية ؟ ومتى كانت زرقة العينين مما يحمد فيه الغزل والتشبيه ؟

وكنت أقول لهم يومئذ : إننى إن زعمت أن حسان أوربا سود العيون والشعور كذبت على الحقيقة

وإن زعمت أنهن زرق العيون مذهبات الشعور ولكنهن

دميات مجتويات كذبت على نفسى وعلى الله . . . فكيف تريدوننى أن أقول ؟

صفعة على القفا ، علمت الآن ، أجدى فى مناقضة أولئك « الآدميين » من كل ذلك النقاش والحوار

***

قال ابن أبى ربيعة :

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وقال المثل المصرى : « من أعجبه جسمه عرّاه ، ومن أعجبه صوته علاّه »

ورأينا نحن مصداق هذا وذاك على شاطئ الاسكندرية ، ولا نزال نراه فى كل معرض جمال

فهنا لا تلبس المرأة شيئاً ولا تخلع شيئاً إلا لتبدى حسناً وتستر عيباً . وهنا بحر زاخر لمن ينظرون على مذهب التدخين ، ومن ينظرون على مذهب الفاكهة والطعام ، ومن ينظرون على مذهب الجسم الجميل كما يبناه ، رفيماً جداً فوق مذهب المدخنين ومذهب الآكلين ، ورفيماً جداً فوق مذهب الجسم النافع والجسم اللذيذ .

عباس محمود العقاد

# مائة صورة من الحياة

## للأستاذ على الطنطاوى

### ١ — مجرد

لقيته فى مكتبة كان من عادتى أنى أرتادها كل يوم فألبث فيها ساعة أو نحوها كما يرتادها غيرى من المشتغلين بالأدب والواغلين عليه ، ومن أهل العلم والأدعياء فيه ، فيقلبون المكتبة إلى ناد أدبى ، أو قاعة للجدل والمناظرة ، فلا يكون حظ صاحبها المسكين من تجارته إلا الكلام ، تمتلئ به أذناه ، وجيبه من المال خال ... وهل عاش قط وراق على أديب ؟ ومتى كان عند الأدباء مال حتى يشتروا ؟ إن الناس بين رجلين : رجل يحب الكتب ولكنه لا يجد ما يشتريها به ، ورجل عنده مال ولكنه لا يحب الكتب . فيابؤس الوراقين بين هذين الرجلين !

لقيته ولم يكن لى شرف معرفته ، فنسبوه إلىّ وعرفونى به : (الأستاذ فلان) فقلت الكلمة التى يضطرنى النفاق الاجتماعى إليها : « تشرفنا » كأننا كنا قبل لقائه على غير شرف ... وانتظرت منه أن يتكلم لأضعه فى منزلته ؛ وقديماً قال من لست أدرى من هو : « إنك لا تعرف منزلة الرجل حتى يتكلم ، فإذا تكلم رفعته أو وضعته » أو ما هذا معناه فما أحفظ الكلمة على أصلها ... ولم يطل الرجل بحمد الله انتظارى ، وراح يلقى كلاماً أقرّ على نفسى بأنى لم أفهم منه حرفاً ، اللهم إلا كلمات تتردد فيه لها فى أفرادها معان ، وليس لها فى جملتها معنى ، من أمثال : « الوعى الطبقى » و « التقدمية واللاتقدمية » ، وطفق يسرد أسماء أفرنجية لها أول وليس لها آخر ، ثم قفز قفزة إلى التاريخ ، فعاب علينا أننا نكتب فى التاريخ ، ونؤلف الكتب عن أبى بكر وعمر ، وساق فى ذلك كلاماً على نحو كلامه الأول ، ثم جاء بالطامة فقال بأن سورة (الناس) ليس فيها من بلاغة القول شىء ، وزعم أن كاتباً من أبلغ كتاب العربية فى هذا العصر ( ذهب مغفوراً له ) قال : لو أن تلميذاً كتبها لى فى امتحانه لأعطيته الصفر[1] ...

فلم أعد أطيق على وقاحته وجهالته صبراً . وللمرء أن يتكلم فى الأدب أو فى النقد ، ويطيل أو يقصر ، ويعرض جهله أو علمه ، وسفاهته أو تهذيبه ، فالناس يميزون الخبيث من الطيب ويعرفون الحق من المبطل ؛ وما كل من قال كلاماً كان بليغاً ، ولا كل من أمسك بقلم ونشر كلاماً فى مجلة ، كان ناقداً أو كاتباً ... أما أن يتكلم امرؤ فى الدين بلا علم ولا هدى ، وبغير بينة ولا دليل فلا ... ثم لا !

تركته يوقد نار حماسته فى كذبه ، حتى إذا ظنها استحالت جمرة متقدة ألقيت عليها دلو ماء فقلت له :

— هل تسمح يا سيدى بسؤال : كيف عرفت أن سورة ( الناس ) ليس فيها من البلاغة شىء ، مع أن علماء هذا الفن ومن هم المرجع فيه والحجة قالوا غير ما تقول ؟

قال : لأن للبحترى شعراً لا شك (عندى) أنه أبلغ منها

قلت : لأن كان للبحترى شعر أبلغ من شعر المعرى مثلا كان شعر المعرى خالياً من البلاغة ؟ ثم من قال لك إن شعر البحترى أبلغ من سورة الناس ؟

(١) وذلك كذب على الكاتب رحمه الله ، لأن من يقول هذه الكلمة لا يكون كاتبا ولا أديبا ولا شم رائحة الأدب ...

قال : لأن البلاغة فيه أظهر !

قلت : ما هي البلاغة (عندك) ؟

قال : هي أن يكون الكلام بليغاً ...

فكان الضحك عاماً مجلجلا !

* * *

ولقيت هذا المجدد كرة اخرى فلم يقل شيئاً ، لأنه قال كل ما يحفظ فى المرة الأولى ، ثم لم ألقه بعد أبداً !

٢ — أوربي

فلان ... من أسرة دمشقية أصيلة ، ولكنه أقام فى أوربة سنين عايش فيها القوم ، فظن أنه حين أساغ فى حلقه طعامهم ، وأدار فى فمه لسانهم ، قد صب فى عروقه دماً من دمائهم، ووضع فى رأسه دماغاً من أدمغتهم ، فاستقر فى رأسه أنه أوربي ولكن النطفة أخطأت طريقها فكانت شرقية فلما عاد من أوربة ودخل علينا — وكنا يومئذ تلاميذ وكان هو أستاذنا — استقبلناه استقبال التلاميذ المخلصين أستاذهم الذى غاب عنهم سنين بعد ما اتصل حبله بحبالهم وأحبوه وأحبهم ورحبنا به فنظر إلينا نظر المنكر ، وقلب شفتيه اشمئزازاً [١] ولوح بيديه على طريقة أهل باريس ، وقال لنا بالفرنسية (ما ترجمته بالحرف) :

— ما هذا ؟ أهكذا يكون الاستقبال ؟ إنكم يا أهل الشرق لا تتمدنون أبداً . ولقد رأيت اليوم ما كنت أسمعه ... فياليتني لم أسافر إلى الشرق !

« دمشق » علي الطنطاوي

(١) وفى العربية كلة ( أدلم ) إن اصطلح عليها دلت على هذا المعنى



فى مصر الاسلامية

# سياسة العرب المالية في مصر


للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب


كان الوالي يُعَيَّن من قبل الخليفة لينوب عنه فى حكم البلاد ، وهو الرئيس الأعلى للقضاء والصلاة والخراج والجند والشرطة وما إليها من مهام الدولة . وكان يستعين فى إدارة البلاد بطائفة من كبار الموظفين وأهمهم ثلاثة : عامل الخراج أو صاحب بيت المال ، والقاضى ، والقائد أو صاحب الشرطة . وكانت وظيفة الخراج أهم هذه الوظائف الثلاث

وكان الوالي يحتفظ بها لنفسه ؛ وربما أسندها الخليفة إلى رجل من قبله فيعمل هذا مع الوالي جنباً إلى جنب : هذا يدير دفة السياسة. وذاك يتولى أعمال الدولة المالية . فكان بمثابة الرقيب على أعمال الوالي ، فكأنّ مصر إذ ذاك كان يحكمها واليان من قبل الخليفة مما أدى إلى تنازع السلطة والمنافسة بين الرجلين : وذلك مما يعلل قصر عهد الولاة وعمال الخراج ، وبهذا خسرت مصر تحت حكمهما أكثر مما كانت ترجوه من التقدم فى سبيل الاصلاح .

كان القضاء والصلاة من الأمور الجوهرية التى تناولها هذا التغيير فى النظم الادارية فى عهد الاسلام لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالدين ، وهو مصدر الحكم فى الاسلام .

أما عن الخراج فقد سار عمرو بن العاص مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل فى النقصان والزيادة مما اضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد فى دفعه . ذلك أن عمرا حين جبى خراج مصر فى السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر ، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً فى السنة التالية ، وذلك

لما بلغ الخليفة من أن الخراج وصل فى عهد المقوقس إلى عشرين مليوناً وأكثر ، وجعله بعض المؤرخين ٢٤٫٤٠٠٫٠٠٠ دينار فى عهد الفراعنة ، وبالغ بعضهم فجعله فى زمن الريان بن الوليد (وهو فرعون يوسف) ٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار [١] ، فلا غرابة إذا عجب عمر من أن البلاد لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه إن صح أن مصر كانت تؤدى هذا المقدار قبل الاسلام . على أن عُمر إنما أراد بتشدده وتمسكه أن يحلب البلاد حلباً ويقطع درها بخلاف ما كان يتوخاه عمرو بن العاص من مراعاة حال البلاد من شدة ورخاء [٢]

وقد لغط المؤرخون فى مقدار الخراج ، وقصره بعضهم على جزية الرءوس التى كان مفروضاً أداؤها على أهل الذمة من القبط وغيرهم لأن الخراج فى عهد الاسلام كان من ناحيتين (الأولى) الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية أو جزية الرءوس (والثانية) ضرائب الأطيان ، ومجموع هذين يعرف بالخراج [٣]

على أن قصر بعض المؤرخين الخراج على جزية الرءوس مع خطئه يجعل الاهتداء إلى معرفة عدد سكان مصر وقت الفتح أمراً مستحيلاً ، ناهيك بما هنالك من الاختلاف الكبير بين روايتى ابن عبد الحكم (٢٧٦ هـ = ٨٧١ م) وهو أقدم مؤرخى مصر الاسلامية والبلاذرى (٢٩٠ هـ = ٨٩٢ م) وهو من معاصرى ابن عبد الحكم

وقد ذكر ابن عبد الحكم [٤] أن عدد من ضربت عليهم الجزية من المصريين فى عهد عمرو ثمانية ملايين [١] عدا الصبيان والنساء والشيوخ ، ولو بلغ عدد من ضربت عليهم الجزية رُبع سكان البلاد لكان أهل مصر طبقاً لهذا التقدير اثنين وثلاثين مليوناً من النفوس . وهذا بعيد التصديق ، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لبلغت جزية الرءوس وحدها ستة عشر مليون دينار وهو يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن خراج مصر بنوعيه لم يزد فى السنة الأولى من ولاية عمرو على عشرة ملايين ، ولم يزد فى السنة التالية على اثنى عشر مليوناً . كذلك روى البلاذرى أن عمرا فرض على كل مصرى عدا النساء والصبيان والشيوخ دينارين فبلغ خراج مصر (بما فيه جزية الرءوس) مليونى دينار ، فاذا خصصنا لجزية الرءوس مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف نسمة ، وعلى هذا القياس لا يزيد سكان مصر على مليونى نسمة

هذا ولم يكن للخراج نظام ثابت ، فكانت ضريبة الأطيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان [٢] ونحوها ، كما أن جزية الرءوس كانت تتناقص بالتوالى لدخول أهل مصر فى الاسلام ، إما رغبة فى اعتناق هذا الدين ، أو فراراً من دفع الجزية . وقد رأى بعض العمال عدم دفع الجزية عمن أسلم . يدلك على ذلك كتاب والى مصر إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشكو إليه من أن الاسلام أضرّ بالجزية ويسأله أن يأمر بفرضها على من أسلم ، فما كان من عمر إلا أن كتب إليه كتابه المأثور ، وفيه يقول « ... فضع الجزية عمن أسلم — قبح الله رأيك — فان الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ، ولم يبعثه جابياً . ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه » ، وعلى الجملة فقد كانت سياسة الخلفاء ترمى إلى الاكثار من الخراج حتى إن بعضهم لم يأبه بما حلّ بالأهلين من شراهة العمال الذين عملوا على إرضاء الخليفة ، الذى كان رضاؤه متوقفاً

(١) نقل المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٥) عن الشريف الحرانى أنه وجد فى بعض البرابى فى الصعيد عبارة باللغة القبطية نقلت إلى العربية ومنها يتضح أن الخراج بلغ فى عهد الريان بن الوليد ٢٤٫٤٠٠٫٠٠٠ دينار ، وهو أقرب إلى المعقول

(٢) أنظر المكاتبات التى دارت بين عمرو وعمر بشأن الخراج فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٧٨ — ٧٩) على أن غضب عمر كان راجعاً أكثره إلى تأجيل عمرو إرسال الخراج إلى المدينة كما يظهر من قول عمرو « ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم »

(٣) شرح هذا يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م) فى كتابه « ذيل التاريخ ، المجموع على التحقيق والتصديق » لمؤلفه أو شيخا أو سعيد بن البطريق (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) وزاد ابن سعيد فشرح النوع الثانى بأنه جزية جملة تكون على أهل القرية وهذا يعلل ما ذكره المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٧) أن جزية الجملة كانت تؤخذ على أهل القرية من مزارعين وأرباب الحرف والصنائع

(٤) كتاب فتوح مصر ص ٧٨

(١) ذكر المؤرخ ستانلى لين بول أن هذا العدد هو ثمانية ملايين دينار واستدل منه على أن عدد من ضربت عليه جزية الرءوس بلغ أربعة ملايين (بفريضة دينار عن كل شخص) واستنبط أن سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا ستة عشر مليون نسمة ، وهذا يخالف ما يقصده ابن عبد الحكم فى (فتوح البلدان ص ٢٢٣) الذي استقى منه لين بول هذه العبارة كما يظهر

(٢) كان إصلاح الجسور والخلجان مفروضاً على الأهالى ، وكان يقوم بذلك ١٢٠٫٠٠٠ نسمة لا يفترون عن العمل صيفاً ولا شتاء

على تأدية الخراج ، وعلى سدّ جشعهم فى جمع الثروة الضخمة حتى لا تعوزهم الحاجة بعد عزلهم ، الذى كانوا يترقبونه فى كل وقت ؛ مما أدى فى كثير من الأحيان إلى انتقاص الأمة ، وقيام الثورات فى عهد بنى أمية وبنى العباس . وليس أدلّ على عناية الخلفاء بإكثار الخراج من أن عبدالله بن سعد بن أبى سرح لما جبى خراج مصر وبلغ ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار بعد أن جباه عمرو ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار ، عيّر عثمان بن عفان عمرا بقوله : « إن اللقاح بعدك درّت ألبانها » فأجابه عمرو « .. لأنكم أعجفتموها » مما يدلّ على أن سياسة الخلفاء نحو جباية الخراج كانت تميل إلى الشدّة ، وعلى الأخص فى عهد بنى أمية وبنى العباس ، على أن خراج هذه البلاد أخذ يقلّ بعد عمرو وابن أبى سرح حتى إنه لم يبلغ زمن الأمويين والعباسيين ثلاثة ملايين[1] إلا مرات معدودات حتى اضطر بعض الولاة إلى وضع الجزية على من أسلم

حسن ابراهيم حسن

(١) يظهر من أقوال المقريزى ( خطط : ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠ ) أن الخراج فى هذه المدة كان جلهُ — إن لم يكن كله — عبارة عن ضرائب الأطيان ، فقد بلغ فى عهد هشام بن عبد الملك أربعة ملايين ، وفى خلافة سليمان بن عبد الملك اثنى عشر مليوناً ، وفي عهد ابن طولون أربعة ملايين و٣٠٠ثمانمائة ألف دينار ، وبلغ فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون أربعة ملايين

# حظى بالشيء ...

## لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى المنصورة ، اليازجي ... ... ...

— ٣ —

ردّ الأستاذ الرافعي ( رحمه الله ) فى ( البلاغ ٢٨ شوال ١٣٥٢ ) على الأستاذ أزهرى المنصورة ( البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢ ) فقال :

« عاد الفاضل أزهرى المنصورة إلى هذا الفعل وجاءنا بدليلين آخرين من استعماله فتمت حججه أربعا أحصاها هو بقوله : (١) — أوردنا بيت الحماسة .. (٢) — وجئنا بكلام الأساس .. (٣) — وجاء فى نهج البلاغة : ( وحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون ) (٤) — وجاء فى مقامات الحريرى : ( نهضا وقدحظيا بدينارين )

وعجيب جداً أننا لم نجد أحداً يتنبه إلى مدار الحجة أو يفطن إلى وجه النقد . على أننا أومأنا إلى شيء ، وعرضنا بشيء ، وقلنا : إن لهذا الفعل ( حظى ) تاريخاً اجتماعياً وأن هذا التاريخ هو الذى يعين للكلمة ظاهرها الظاهر وباطنها الباطن . وكان فى هذا كاف أن يدرك من يدرك أن فى اللغة ألفاظاً أخذت من معنى بعينه ، ولا يستعمل إلا فيما هو بسبب من هذا المعنى

أما بيت الحماسة فقد قلنا إن حظي فيه مضمنة معنى ( ظفر ) فهى هذه لا تلك وبطل الاستدلال بالبيت . ونقول مثل هذا فى كلمة الحريرى وإن كان الشريشى قد فسرها بمعنى ( سعد ) وهو المعنى العامى الذى شاع به الكلام فى العصور المتأخرة . فيقولون : حظينا بلقاء فلان ، وحظينا بتشريف فلان . وأكثر ما كان هذا الاستعمال فى البلاد التى يعسفها الحكم التركى ، ولهذا كانت فاشية فى سوريا[1] حتي لا عامى ولا خاصى هناك إلا وهى فى لسانه وبخاصة الجرائد

وأما كلام صاحب الأساس فقد قلنا إنه من دليلنا لا من دليل المجمع ونحن على هذا الرأي

وأما عبارة نهج البلاغة فهى الآن محل القول ، وسنرفع عليها مصباحاً من مصابيح علاء الدين ليتبين الأزهري والمجمع بنوره الساطع كيف وقعت ( حظى ) من العبارة فى أحسن مواقعها ، وقامت فى الكلام على رجليها لا على أصابعها !

يقول الامام : ( وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ) فالجملة الأولى مقيسة على الثانية فى الاستعمال إذ الأصل هو ما حظى المترفون به ثم أخذت منه حظوة الآخرين الذين أشبهوهم : فبماذا يحظى المترفون ومن هم ؟ جواب هذا فى قوله تعالى : ( واتّبع الذين ظلموا ما أُتْرِفوا فيه[2] ) وقوله : ( وأخذنا مُترفيهم

(١) قلت : جاءت ( سورية ) فى المطبوع فى الجريدة بالالف وفى ( القاموس ) : « سورية مضمومة مخففة اسم للشام » وفى الطبرى ومعجم البلدان وتاريخ آداب العرب الصفحة ٣٥ للأستاذ الرافعى ( رحمه الله ) مثل ذلك

(٢) قلت : وبقية القول الكريم : (وكانوا مجرمين) وفى (الكشاف) : قرأ أبو عمرو : ( واتبع الذين ظلموا ) يعنى واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه — اتبع : على وزن افعل ، وبالبناء لما لم يسم فاعله — ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم ، وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء

بالعذاب(١) » وقوله : ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا(٢) مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً )

والآن فلنطفئ مصباح علاء الدين فان لم يكن المعنى الذي نرمي إليه قد انكشف ففي مقالة أخرى سنستعير مصباحاً كشافاً من الأسطول البريطاني »

قلت : في هذا التفسير تعمُّق ، وهذه هي الجمل التي وردت قبل عبارة ( الحظوة ) وبعدها ، وفيها البيان الكشاف :

« إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أُكِلَت ، فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح ، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم(٣) »

وقال الأستاذ الرافعي ( رحمه الله : « ثم قال الأزهري : لم يقل أحد قولا في ( حظى بالشيء ) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا الزمان ، ثم ذكر انتقاد اليازجي استعمال شاعرنا حافظ ابرهيم في ترجمة البؤساء قال : ( فلاقاه بعد أيام حجة الاسلام السيد رشيد رضا فقال له — وقد سمعنا قوله — يا شيخ يا شيخ إن الذي خطأته من كلام حافظ ابرهيم هو في أول صحيح البخاري قال : فبهت الشيخ وترك السيد وهو كاسف البال )

(١) هذا هو المطبوع في الجريدة والآية الكريمة : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذاهم يجأرون »

(٢) ( أمرناهم ) من الأمر ، وقيل : أمر مثل آمر أي كثر أو أكثر ، وقرئ : أمّرنا — بتشديد الميم أي جعلناهم امراء وسلطناهم

(٣) قال شارح النهج ( ابن أبي الحديد ) : « ثم ذكر حال الزهاد فقال : أخذوا من الدنيا بنصيب قوى ، وجعلت لهم الآخرة . ويروى أن الفضل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحارى فأكلا كسرة يابسة ، واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران ، وقام الفضيل فخط رجليه في الماء ، فوجد برده ، فالتذبه وبالحال التي هو فيها . فقال لرفيقه : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا »

ولسيد المصريين وإمام المسلمين ( الشيخ محمد عبده ) — رضى الله عنه — في شرح قول النهج كلام حسن : « إن المتقى يؤدى حق الله وحقوق العباد ، ويتلذذ بما آتاه الله من النعمة ، وينفق ما له فيا يرفع شأنه ، ويعلى كلمته ، فيعيش سعيداً مترفاً كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذي يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيا أوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهداً في الدنيا وهي مغدقة عليه

وترى ما الذي فهم القراء من هذا ؟ وما هو الذي يُعد من كلام حافظ ابراهيم وفي صحيح البخاري في وقت معا ؟

لا بأس أن نفيد قراء ( البلاغ ) فائدة وأن نصحح لحضرة أزهري ، فان اليازجي لم ينتقد ( حظى بالشيء ) كما يزعم ، وإنما انتقد استعمال المصدر قال : ( ويقولون الحظوى وإنما هي الحظوة ) بالهاء ولم يزد على ذلك . ومما أخذ به حافظ في ترجمة البؤساء أنه يتكلف في الاستعمال وعد من ذلك قوله : ( كأني أسمع صوتا يقطر منه الدم ) قال : وقطران الدم من الصوت مما لا تأنس به الأفهام . وهذه هي العبارة الواردة في البخاري ولكن حافظ ( رحمه الله ) لم يأخذها من البخاري وإنما سلخها من ( الأغاني ) وقد سار(١) شيطانه بعد انتقاد اليازجي ، فلقى بعض أصدقائه فقال له بالحرف :

( اليازجي غير مطلع في العربية )

قال الصديق : ولماذا ؟

قال : انه عاب عليّ : ( اسمع صوتا يقطر منه الدم ) مع أن العبارة في الأغاني

قال صديقه : ياحافظ ، اتق الله ، لأن يقول الشيخ : إن في العبارة مجازا بعيدا خير لك من أن يقول : انك سرقتها من الأغاني ...

أما هل أخطأ اليازجي أو حافظ فهذا كلام آخر )

قلت : ومما نقده الشيخ اليازجي في (البؤساء) : « فخرجت ربة المنزل بالصمت عن لا ونعم أي لم تقل لا ولا نعم ، ومن هذا القبيل : أحمل له ضبّ الضغن . على أن الضب والضغن شيء واحد وكلاهما بمعنى الحقد »

ولم يحك لنا ( صديق حافظ ) قوله في نقد اليازجي هاتين العبارتين فحالهما كحال ذاك ( الصوت ) والقياس يدل أن هناك ثورة وسورة وقولا ...

وقد غزا حافظ في الأولى بشارا :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيفٌ ألم
وإذا قلت لها : جودي لنا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأغار في الثانية على ربيعة بن مقروم :

وكم من حامل لي ضبّ ضغن ... بعيد قلبه ، حلو اللسان

(١) سار : غضب ، السورة : الحدة ( المصباح ) ومن المجاز : سار الشراب في راسه ( الأساس )

قال التبريزي في (شرح الحماسة) : « الضب الحقد . وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر ، (١) فكأنه حقد عسر » وغزوات حافظ البريطانية الايطالية الفرنسية ... وغاراته التركية ... في ( بؤسائه ولياليه ) تخبرنا أنه خليفة سعيد بن حميد في هذا العصر قال ابن النديم في ( الفهرست ) : « سعيد بن حميد كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ ، مقدم في صناعته ، جيد التناول للسرقة كثير الاغارة . لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقي معه شيء (٢) »

***

ومن نقد ( البؤساء ) لليازجي : « استعماله ( البرهة ) للزمن القصير (٣) و ( باهت اللون (٤) ) بمعنى كمده و ( تبقى عليه كذا (٥) ) أي بقي و ( ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بغلام (٦) ) والمنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به ، وبقيت ( تقضقض ) من البرد أي تقفقف (٧) ، ولم يجيء قضقض بهذا المعنى »

قلت : قضقض الشيء فتقضقض كسره فتكسر ، والقضقضة صوت كسر العظام ، وفي شعر أبي تمام :

طلبُ المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما

وفي حديث صفية بنت عبد المطلب : ( فأطل علينا يهودي ، فقمت إليه فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم ، فتقضقضوا ) أي انكسروا وتفرقوا كما في النهاية

وفي ذاك (النقد) : « ولحتُ بأحد فخذيك ( فدعا ) والفدع يكون في القدم لا في الفخذ ، وهو أن يعوج الرسغ حتى تنقلب القدم إلى إنسيها ، (١) وقيل : هو أن يمشي على ظهر القدم »

قلت : أكثر ما يكون الفدع في الرسغ من اليد والقدم ، وفي ( اللسان ) : « الفدع عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه »

ومن ذاك ( النقد : « عولت على مغادرة ابنتي : أي أجمعت وصممت ، وليس هذا معنى اللفظة ، ولكن يقال . عوّل عليه بمعنى اتكل »

قلت : في ( الجمهرة ) : عوّلْ عليّ بما شئت أي حملني ما شئت من ثقلك ، وفي ( الصحاح ) : عول علي بما شئت أي استعن بي ومثل هذا في (اللسان والاساس) وفي ( الأساس ) : « ويقال : عول على السفر إذا وطّن نفسه عليه » وقول حافظ يضارعه .
وفي الرابعة والثلاثين من المقامات الحريرية : « قال : أتدرى لمَ أعولت ، وعلام عوّلت ؟ » وقد فسر بعض الشراح عول بمعنى عزم واعتمد ، وهو مقصود ابن الحريري ، ولم ينقد ابن الخشاب هذه اللفظة . وفسر الشريشي عول بمعنى اتكل ، وعبارة المقامة لا تعني الاتكال

ونقد اليازجي « النجمة للنجم »

قلت : النجمة ضرب من النبت كما في (الصحاح) والنجمة الكلمة ، ولم أجد النجمة للنجم في المعجمات المعروفة المطبوعة . غير أني قرأت في (التاج) في مستدركه : « ونجمة الصبح فرس نجيب » ورأيت في (أقرب الموارد) : « النجمة النجم وهي أخص منه » وقد جاء هذا بعد تفسير : ( علم النجوم ، نجوم الأخذ ، فلان ينظر في النجوم) فغير العارف يظن أن النجمة مثل النجم . والأصل لما في (أقرب الموارد) هو في (النهاية) : « ومنه حديث جرير : بين نخلة وضالة ونجمة وأثلة . النجمة أخص من النجم وكأنها واحدته كنبتة ونبت » وروى ( اللسان ) هذا الكلام ، فنقل صاحب ( أقرب الموارد ) منقوله ، ورتبه كما رتّب ليضل من يطالع معجمه . والشيخ سعيد الشرتوني فاضل كبير ، وله مصنفات حسنة ، ومقالات متقنة ، لكن معجمه ( أقرب الموارد) لا يوثق به ، فقد تكردست فيه الأغلاط تكردسا

الاسكندرية (***)

(١) في ( اللسان ) : ضغن الدابة عسرها والتواؤها . وفي (الأساس) : وقناة ذات ضغن : فيها اعوجاج والتواء

(٢) وفي ( الفهرست ) : كان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس ، وله من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية ، كتاب ديوان رسائله ، كتاب ديوان شعره

(٣) قلت : في ( الصحاح ) : أتت عليه برهة من الدهر أي مدة طويلة من الزمان

(٤) قلت : الباهت من البهتان أو من بهت — كنصر وكرم وعلم — بمعنى دهش وهو غير فصيح . والفصيح بهت — بالبناء لما لم يسم فاعله — فهو مبهوت . ولا يقال باهت ولا بهيت كما في الصحاح

(٥) قلت : في ( الاساس ) تبقاه بمعنى استبقاه

(٦) قلت : في ( اللسان ) : عثر على الأمر اطلع وأعثرته عليه أطلعته وفي ( الصحاح ) : وعثر به فرسه فسقط وعثر عليه أيضا ، وفي (الأساس) وعثر الزمان به ، وعثر في كلامه وتعثر

(٧) قلت : في ( النهاية ) : في حديث سهل بن حنيف : فأخذته قفقفة أي رعدة ، يقال . تقفقف من البرد إذا انضم وارتعد

(١) قلت : في ( الصحاح ) : قال الاصمعي : كل اثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الانسان فهو انسي ، وما أدبر عنه فهو وحشي